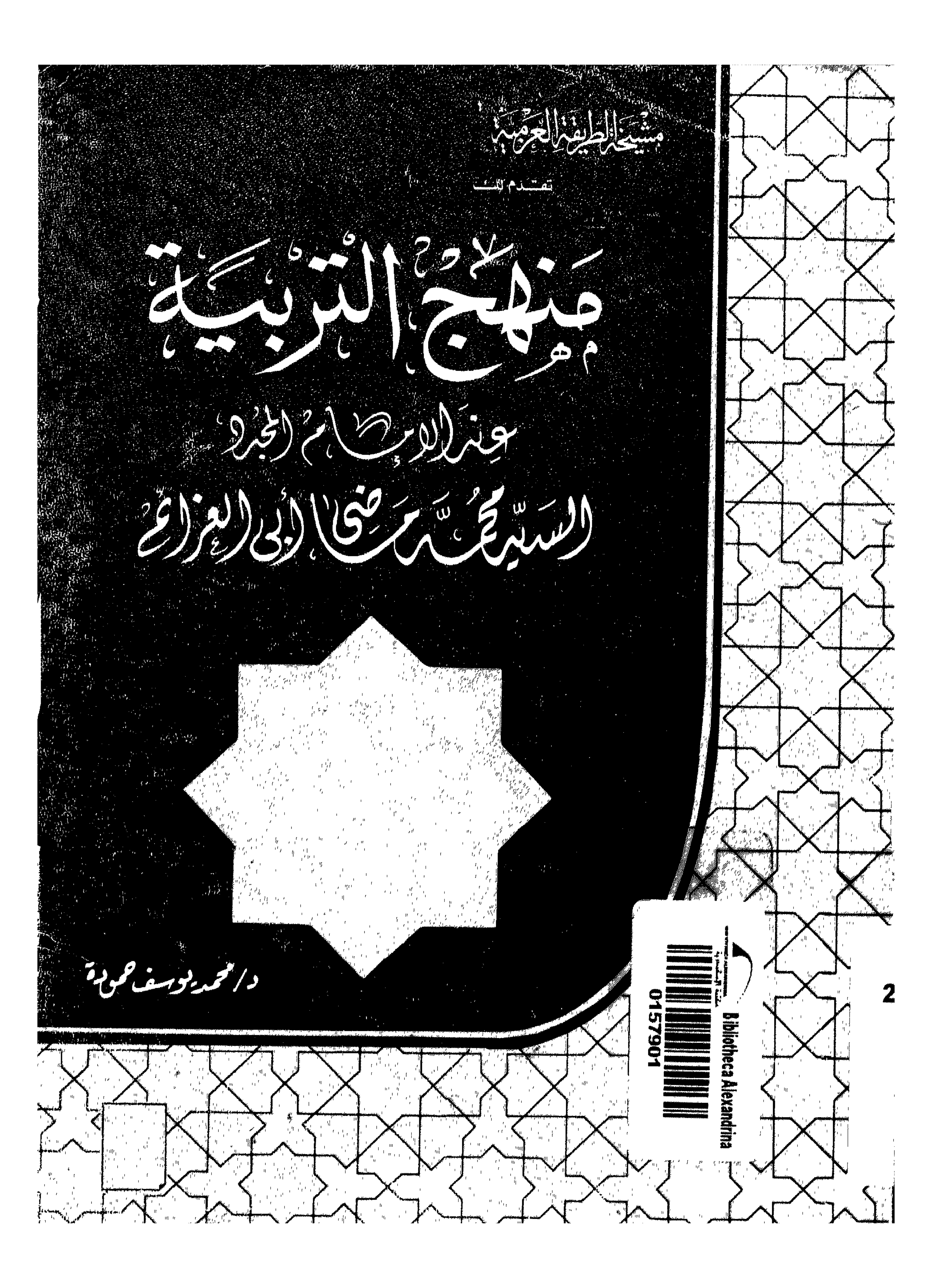

مشيخة الطريقة العزمية
تقدم لك
منهج التربية
عند الإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبي العزائم
د/ محمد يوسف حمودة
Bibliotheca Alexandrina
0157901

اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع

القاهرة

مَنْهَجُ التَّرْبِيَة
عند
الإمام أبي العزائم

د/ محمد يوسف حمودة

٨٩/٣٠٨٠

٩٩٧ _ ١٦٦٥ _ ٠٩ _ ×

الطبعه الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

دار المدينة المنورة للطبع والنشر
١١٤ ش مجلس الشعب - القاهرة ت ٣٩٠٨٨٤٨


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكمل به دينه وأتم به نعمته لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكفى بالله شهيدا .

والصلاة والسلام على حبيبه ومصطفاه مهبط الوحي ومعدن الحكمة ونور الهدى ، ورحمة الله العامة للناس أجمعين . أقامه الله تعالى فى أمته محفوظا بورثته ، فكانوا فىء نوره ، وألسنة بيانه ومنطق حكمته ومصابيح الدجى المستمدة نورها من السراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .. وبعد ...

فإن أعظم نعمة ينعم الله تعالى بها على عبد من عباده بعد نعمة الإسلام أن يوقفه تعالى إلى إمام يهديه وأستاذ يأخذ بيديه ، وخبير يقيمه على الطريق إذا تفرقت السبل ، وكثرت الأهواء وتتعددت الأسباب .. فيجمع الله لعبده نعمة الإهتداء مع نعمة الاقتداء .. حتى يحصل للعبد كمال الرشد فى دينه والهدى فى سبيله ، لقوله تعالى :

« من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » (الكهف : ١٧) .

ومن رحمة الله بالأمة إمداده لها بالأئمة . ورثة النبى ﷺ والخلفاء له الذين يحيون السنة بعد مواتها ويجددون لهم ماأنطمس من معالم الدين .. فأخذ كل إمام على عاتقة واجب التبليغ وقام بالتربية على خير وجه وقد نالت كل مدرسة من إمامها منهجة وتربيته ، وهم جميعا ــ الأئمة ــ معتصمون بالكتاب متبعون للسنة متمسكون بها . لايميلون إلى بدعة . ولا يدعون إلى ضلالة ، لأنهم ساروا مهتدين وسلكوا الطريق مقتدين ــ « قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وماأنا من المشركين » (يوسف : ١٠٨)

فهم غير مختلفين وان تعددوا ، ولا مخالفين وإن نهجوا بأبنائهم سبيل الرشاد فإنما هى أذواق ومواهب ، وسعة المورد تقتضى كثرة الوراد ، ولكل فيه شأنه ومورده ، « قد علم كل أناس شربهم كلوا واشربوا من رزق الله » (البقرة : ٦٠) .

وتعدد المدارس الاسلامية لايعنى اختلافها . إنما هوا الأمر كما قلنا سعة المورد اقتضت كثرة الوراد وتعددهم وإمامنا له فى التربية بحره الطامى ، وذخره السامى لايعرفه إلا من ورده ولا يحكم عليه إلا من ذاقه . ولنا معه هنا فى مدرسته جولة نرد فيها منهله العذب الروى ونرى من خلاله فضل الله تعالى عليه وعلينا به وعلى الناس بما نورده . ونسأل الله أن يجعلنا من الشاكرين وأن يفتح علينا من أبواب رحمته وخزائن علمه إنه نعم المولى ونعم النصير ..

الباب الأول

حياته ووسائل تربيته



الفصل الأول

مــع الإمام فى حياته ونشأته

اقتضت حكمة الخالق سبحانه وتعالى أن يحفظ النبى ﷺ فى أمته حتى تبقى شمس الهدى بغير غروب .. وسراجه المنير يتلألأ بغير أفول ..

فأقام فى الأمة ورثة النبى ﷺ ، وخلفاءه الذين يحفظون السنة ويبلغونها الناس . فهم للناس أئمة وهم أعلام الأمة ..

وقد جرت العادة أن نعرف العصر والمصر إذا كنا بصدد التعريف بالأعلام لأنهم جزء من الدعوة الاسلامية والتعريف بالدعوة يلزمه معرفة المكان والزمان والإمام عمل فى حقل الدعوة الاسلامية ردحا طويلا من الزمن وتنقل كثيرا فى الاقطار الاسلامية وله فى كل مكان أثره الطيب فكان من الأمانة العلمية بيان العصر الذى نشأ فيه والمصر الذى بدأت منه دعوته إلى الحق ..

مولده :

وليس ثمة خلاف فى مولده ولا فى مكانه الذى ولد فيه ولا فى أسرته العربية التى ترجع فى نسبها إلى الإمام على بن أبى طالب فى فرعيه الكريمين الإمام الحسن والإمام الحسين ..

فهى أسرة عربية عريقة الأصل كريمة المنبع كما سنذكره إن شاء الله تعالى .. وقد ولد الامام السيد محمد ماضى أبو العزائم فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب الفرد فى عام ستة وثمانين ومائتين وألف من الهجرة النبوية (١٢٨٦)هـ .

وذلك يوافق الرابع والعشرين من شهر نوفمبر عام تسعة وستين وثمانمائة وألف من التقويم الميلادى .. وكان ذلك . أثناء زيارة والديه للمسجد المشهور برشيد . « مسجد

سيدى زغلول » .. والقريب من محلة أبي على التى تقطنها أسرته وهى من أعمال دسوق من البلاد المصرية ..

فإذا عرفنا أن الإمام انتقل إلى جوار ربه فى نفس الليلة والشهر عام ستة وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة وفى عام سبعة وثلاثين وتسعمائة وألف من الميلاد .

كان ذلك يعنى أن الإمام عاش فى الفترة مابين الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، والثلث الأول من القرن العشرين ..

وهى فترة شهدت الحرب العالمية الأولى والإعداد بل والمراحل الأولى من الحرب العالمية الثانية .. بالإضافة إلى الركام الهائل الذى خلقه الإستعمار الغربى والذى كان خاتمة الحروب الصليبية التى بدأت من الأندلس وختمت بالاحتلال الغربى للبلاد الإسلامية وظل أثره باقيا حتى الآن ..

اسمه ونسبه :

اسمه السيد محمد واسم أبيه السيد عبد الله المحجوب بن السيد أحمد بن السيد مصطفى بن السيد ابراهيم بن السيد صالح بن السيد ماضى ــ نسبة إلى عين ماضى بجوار الساقية الحمراء على الحدود بين مراكش والجزائر ــ بن السيد درويش .. إلى أن ينتهى إلى الامام الحسين ..[١] .

وأما نسبه من جهة أمه :

فهى السيدة آمنه المهدية ابنة السيد أحمد العربى الفرجانى بن السيد أحمد القادرى بن السيد على بن السيد سليمان ... إلى أن ينتهى إلى السيد عبد القادر الجيلانى إلى الإمام الحسن[٢] فهو حسينى حسنى ..

وأما أبو العزائم فهى كنية[٣] للإمام السيد محمد بن السيد عبد الله المحجوب يكنى بها . ويجمع للامام اسمه وكنيته ونسبه إلى ماضى .. جده فهو « السيد محمد ماضى أبو

(١) ، (٢) نيل الخيرات الامام السيد محمد ماضى أبو العزائم الطبعة الحادية عشرة ص (١٠٩) (١١٠) . وانظر فى ذلك الطبعة الثالثة من نيل الخيرات والخامسة والثانية عشرة ومقدمة أصول الوصول الطبعة الأولى والمدينة المنورة العدد التاسع السنة الثانية عشر ، والثانى عشر من السنة العاشرة .

(٣) المدينة المنوره العدد التاسع السنة الثانية عشرة ، الثانى عشر من السنة العاشرة .

العزائم ..» يعرف بكنيته فقط أو بمحمد ماضى فقط .. أو بالكل .. كما سبق وقد كتب تحت عنوان محمد ماضى وصفا لنفسه يقول فيه :

« الخوف قوامه ، والذل حليته ، والرهبة باطنه ، والرغبة ظاهره ، والحيرة رداؤه . والصبر أنيسه ، والرضا رفيقه ، والشكر زاده ، والثقة كنزه ، والفكر طريقه . والتسليم مذهبه ، والتواضع رفعته ، والفقه منهجه ، والصدق ضالته ، والاخلاص مراده ، والسيد ﷺ مقصوده ، والله سبحانه معبوده ، والشكر ذكره ، والدعاء عمله ، ومايقرب إلى النار عدوه ، ومايقرب إلى الجنة أليفه ، وبر الوالدين سروره ، وصلة الرحم صبوره ، وادخال السرور على عباد الله وصوله ، والرحمة بخلق الله تعالى حظوته ، والقرآن الكريم خلوته ، والحضور بقلبه مع الحق سبحانه جلوته ، يامقلب القلوب والأبصار ثبت قلبه ، وبلغه مراده . وهكذا فليكن كل ماض ، أو من يحب ماضيا .[1] .

عصر الامام

وكان من الممكن أن نمر على ذكر العصر مر الكرام لولاما شهدناه من الإمام فى وقفاته المتعدده من أحداثه ومن تعبئة الروح الإسلامية ضد الاستعمار والمستعمرين ورفعه راية العداء عالية فى وجه المستعمر الحقود وأعوانه الذين يحادون الله ورسوله ..

أولا : ركام قديم

لقد سار الاسلام يتهادى بفضل الله تعالى كما يتهادى النسيم إلى كل البلاد التى أذن الله تعالى لها بالهدى ، وغشى نور الحق ظلمة الباطل فأبادها من كل ربوع الدنيا : فلقى الإسلام من الناس قبولا ووجد الناس فى الاسلام ملاءمة للفطرة السليمة فتعانقا تعانق الاعتقاد الجازم بصلاحه والحاجة اليه وعمل كل من ذاق حلاوته أن يهديه إلى الناس ولو تحمل فى ذلك أى شىء وبذل فى سبيله كل نفيس وغال حتى بلغ الاسلام أوربا .. وطاف أطراف الدنيا فسمع به كل قاص ودان .. وكان هذا الإنتشار غصة فى حلق الشيطان وأتباعه فدفنوا حقدهم فى قلوبهم وسكت ناعقهم إلى حين ..

حتى بدت لهم من المسلمين التفاتة إلى الدنيا .. فقاموا بكل حقد ، ينادى بعضهم بعضا للقضاء على الإسلام والمسلمين ..

---

(١) مقدمة أصول الوصول الطبعة الأولى .

وكانت أول ضربة لهم أظهرت الحقد والكفر وظلمة القلب وفساد الطبع هى ماجرت فى بلاد الأندلس وطرد العرب والاسلام نهائيا من غرناطة عام ١٤٩٢م ، فخرج آخر ملوك غرناطة أبو عبد الله يجر أذيال الخيبة تبكيه عيون التاريخ الحزين لتقدم بعده دولة مسيحية متعصبة هى أسبانيا ، وقد ولدت قبلها دولة أخرى تماثلها تعصبا هى البرتغال ثم هولندا »[١] .

ومما يسجله التاريخ عن حقدهم أنه رغم الاتفاقية والمعاهدة التى وقعها أبو عبد الله عند الجلاء فقد قتل المسيحيون ثلاثة ملايين نسمة من المسلمين.ولم تسمح بإقامة مسلم واحد فيها حتى ولو أن هذا المسلم أعلن اعتناقه للمسيحية .. »[٢] .

وتوالت الضربات بعد ذلك .. فأخذت شكل الحروب الصليبية التى دعا إليها البابا فى أوروبا واستجاب لها الملوك والنبلاء حتى الأطفال مما يؤكد تلك الروح المتعصبة البغيضة التى أجتاحت مجتمع أوربا فمما يذكره التاريخ أن أطفال ألمانيا وفرنسا فى عام ١٢١٢م كونوا حملة صليبية بزعامة طفل يرعى الغنم اسمه (استيفن) ادعى أنه تلقى رسالة من المسيح يأمره فيها بالخروج للمشاركة فى الحرب الصليبية »[٣] .

ولعل العوامل فى الزحّف الغربى على البلاد الاسلامية متعددة لكن أظهرها عامل الحقد الدفين الذى تجلى أكثر وأكثر عند البابوية وفرسان المعبد والروح الطاغية التى كانت تنفث فى صدور الشباب وغيرهم لحمل الصليب إلى القدس والاستيلاء على مصر خاصة لأنها مفتاح الوصول إلى بيت المقدس ..

أو نقول إنها عوامل متراكمه لكل فيها غرض ومأرب .. « واذا كانت البابوية قد دعت المسيحيين الغربيين إلى المساهمة فى هذه الحملات باسم الصليب فإن أطماع الملوك والأمراء والفرسان الأوروبيين كانت واضحة فى هذه الحملات . ولقد ساعدت الحروب الصليبية على زيادة سلطة الملوك فى أوربا فى وقت غيبة النبلاء والفرسان فى الأراضى المقدسة . خاصة وأن بعضهم قد قتل فى هذه الحروب واستولى الملوك على أراضيهم ، وخرج الأقطاعيون الأوربيون من هذه الحرب ضعفاء ، وساعدت هذه الحروب على

---

(١) الإسلام فى أرخبيل الملايو ومهج الدعوة إلية د.رءوف شلبى ص ٥ الطبعة سنة ١٩٨١م .
(٢) السابق ص ١٦ ،
(٣) السابق ص ٢٤ .

نشأ الضرائب المباشرة للإنفاق على الحملات .. »[1] حتى الكشوف الجغرافية التى قام بها البرتغال والأسبان ـ دولة الأندلس القديم ـ والذين أبادوا المسلمين شر إبادة بعد توقيع المعاهدة بالجلاء لم تخل من هذا الحقد الدفين « فالبرتغاليون قد بدأوا عملياتهم فى شكل عسكرى للسيطرة على بلاد المغاربة .. وقد عمدوا إلى محاولة الالتفاف حول العالم الاسلامى للوصول إلى طريق التوابل . فوصلوا إلى الرجاء الصالح ومنه إلى المحيط الهندى .. والمهم هو أن وصول البرتغاليين إلى مياه الشرق الأقصى وسيطرتهم على التجارة الدولية أو العالمية جاء على حساب مصر وأبناء الشرق الأدنى العربى . ولقد كان وصول البرتغاليين إلى مياه المحيط الهندى فى سنة ١٤٩٨م كارثة على العرب ومراكزهم ومدنهم وسفنهم وتجارتهم فى كل مكان . ويروى لنا التاريخ أن البرتغاليين قد قاموا باحراق مدن وموانى العرب على طول ساحل افريقيه الشرق ومن موزمبيق حتى ساحل البنادر وخليج عدن وأحرقوا وأغرقوا سفن العرب فى كل مكان . ومنعوا تجارة الشرق الأقصى من الوصول إلى مصر والشام .. »[2] فالإحراق والقتل والإغراق ليس من ورائه كشف جغرافى أو منحى اقتصادى .. اللهم إلا إذا كان الحقد والركام القديم ..

وان كانت مرارة الأندلس والتى غرب الاسلام عنها بعد عشرة قرون لم تزل عند المسلمين يجدونها الحين بعد الحين .. فإنه مما خفق وطأتها وأزال غصتها فى الحلق الاسلامى .. « فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ م .. ثم شاء الله تعالى للشرق الاسلامى أن يتنفس الصعداء بدخول البلاد الاسلامية تحت راية مسلمة وأن يجتمع بعد تفرق تحت اسم الخلافة الاسلامية والتى انتزعت من آخر الخلفاء العباسيين وانتزعها السلطان سليم الأول بعد دخوله مصر سنة ١٥١٧م واعلانه نفسه خليفة للمسلمين[3] .. وضمت الدولة العثمانية تحت رايتها كثيرا من البلاد الاسلامية من آسيا وأفريقيا وتوسعت فى أوربا كذلك .

ولم يكن ذلك بالأمر الهين على أوربا الاستعمار والمستعمرين .. فقد نظروا إلى المسلمين فوجدوهم قوة يحسب لها ألف حساب .. فأخذوا فى نفث السم ، وبعث الحقد من جديد وتحينت الفرصة لتنقض على أطراف الدولة الإسلامية .. فأخذت ،

---

(١) المجمل فى تاريخ مصر الحديثة . د . جلال يحي الطبعة الثانية ص ٥١

(٢) السابق ص ٥٣

(٣) السابق ص ٥٦

توقع بينها وبين الدول الأوربية فكانت الحرب الروسية فى عام ١٧٦٨م وكانت الدولة العثمانية فى حالة ضعف ..إداريا وعسكريا وماليا مما ساعد على ظهور الاضطرابات فى معظم أقاليمها سواء فى البلقان أو فى منطقة الشرق الأدنى ، وبخاصة فى بلاد العرب وفلسطين وسوريا والعراق .. ومنيت الدولة العثمانية بهزائهم . واضطرت قواتها البرية الى التقهقر عبر الدانوب ، وإلى الخروج من القرم ، وإلى الجلاء عن الأفلاق والبغدان والصرب ، وخرجت الأساطيل الروسية من البحر الأسود إلى البحر المتوسط ، وهاجمت بلاد الأناضول ، وسوريا وهددت مصر ، ..

ولا شك فى أن على بك الكبير قد رأى فى ذلك ضعف الدولة العثمانية حربيا وعجزها عن الإحتفاظ بهيبتها ، وارتباكها السياسى والادارى فعمل على انتهاز الفرصة واستقلالها لمصلحته[١] ..

واستقل على بك الكبير بمصر وضم اليه بعض البلاد الأخرى ثم تعاقبت الاحداث وتوالت السنون والأمر لايزداد إلا فرقة .. وتوالت الأمراء وكثر اصحاب النفوذ ووجدت فرنسا الفرصة سانحة هى الأخرى فاهتبلتها وجاءت بأساطيلها وعلمائها وقوادها وكأنهم فى رحلة أبدية ودخلوا مصر سنة ١٧٩٨م[٢] . وكانت هذه الضربة الثالثة قد أفقدت الخلافة الاسلامية الوعى فأخذت تترنح لاتقوى على القيام .

ولم يكن أمام الدولة العثمانية إلا أن تبحث عن حليف أوربى فاستجارت من الرمضاء بالنار فلجأت إلى العدو التقليدى لفرنسا وهى انجلترا التى سارعت بالمجىء ولبت على عجل وأقلعت سفن الاسطول البريطانى فى ٢٢ يناير سنة ١٨٠١م وصحبتها بعض سفن المدفعية العثمانية وكتيبة من الجنود العثمانيين . فوصلت تجاه الاسكندرية مساء أول مارس ... »[٣] وانهزم الفرنسيون فرحلت القوات الفرنسية عن مصر ليبقى العثمانيون ، والإنجليز .. الذين يرون لهم حقا فى الشرق عامة ومصر على وجه الخصوص ، فأى حقد هذا وتعد على الإنسانية ، وضرب بالحقوق الدولية عرض الحائط .. والأعراف الدولية .. ولكن لسبب أو لآخر نجد التنافس على مصر بينهما لا ينقطع فنجد الانجليز إذا رحلوا تركوا خط الرجعة مفتوحا . فإن رحلوا فى تلك المرة عادوا فى حملة فريزر سنة

---

(١) السابق ص ١١١

(٢) السابق ١٥٦

(٣) السابق ١٨٢

١٨٠٧م مرة أخرى واستطاعت القوات المصرية الممثلة فى الشعب والقائد الذى ولاه الشعب أنذاك « محمد على » هزيمة الانجليز فى رشيد سنة ١٨٠٧م .

واستطاع محمد على أن يقيم دولة حديثة فى مصر يجمع عليها أقطارا آسلامية أخرى مثل الشام والحجاز والسودان ويتمكن من اقامة وحدة عربية لها شكل الإمبراطورية الاسلامية من ناحية الشكل السياس ..(١)

وبالطبع لم يرق هذا للانجليز المنهزمين فأخذوا فى إحتواء الدولة الاسلامية الحديثة وهدمها من أطرافها فعقدوا معاهدة مع إمام مسقط واحتلت عدن ، وهاجمت سوريا وأجبرت مصر على أن ترجع الى حدودها القديمة وذلك بعد أن اجتمعت القوى الأوربية وتكتلت مع بريطانيا ومنها الروسيا ، والنمسا وبروسيا . وهذا مع مهاجمة القوى العثمانية أيضاً للدولة الحديثة والتى رأت فى قيامها خطرا عليها .(٢) .

وسارت الأحداث يدفع بعضها بعضا والعالم الأوربى فى جومشحون بالتوتر السياسى ولانريد أن نسترسل فى هذا لأنة طويل وليس من بابنا فى شىء إلا أننا نقول إن التوتر الأوربى كان ظهوره على الدوام ومسرحه هو الوطن الاسلامى .. والتحالف الأوربى منصب فى قالبين على الدوام وحلفين لايتوحدان ..

ونظرا لأهمية مصر عربيا واسلاميا وعالميا لوقوعها على خط الوصل بين المستعمرات الشرقية فى الهند وغيرها .. كانت أكثر من غيرها مسرحا لتنافس الدول الأوربية ... فلم يغمض جفن لواحدة عنها حتى لاتفوز الأخرى دونها بذلك الحلم ..

وعندما حصلت فرنسا على امتياز حفر قناة السويس وقد أعطاه محمد سعيد لصديقة الفرنسى « فرديناند دى ليسبس » وهو غاية فى الاجحاف إذ تحفر القناة فى أرض مصرية بأيد مصرية ثم « يستغلها الفرنسيون ٩٩ سنة » . وبالفعل تم حفرها سنة ١٨٦٩م وتم افتتاحها فعلا أمام الملاحة العالمية لتقطع على خط الرجاء الصالح تفرده بهجرة الوصل بين الشرق والغرب ومما زاد الأمر سوءاً بعد ذلك بيع اسماعيل نصيب مصر أسهم الشركة العالمية لقناة السويس للإنجليز خشية من وقوع مصر تحت النفوذ الفرنسى .. فأصبح للبلدين فى مصر حق شرعى كى يأتوا يوما ما لحمايته »(٣) ..

---

(١) السابق ص ٢٢٤ .

(٢) السابق ص ٢٣٨ .

(٣) السابق ص ١١٢ .

وأخذت الزعامات تظهر معلنة سخطها على الوضع السياسى فى مصر وسائر الوطن العربى والاسلامى تجاه تسلل الإستعمار الغربى بهذه الصورة السافرة ووضعه مصلحته الشخصية فوق كل اعتبار وما الشرق أمامه إلا حقله الذى يغرس فيه أغراضه المسمومة ، وأخلاقة المشئومة لرذالتها وحقارتها وافساد الشعب وأبنائه وتخربه بعضهم على بعض وايقاع الدسائس . وكل هذا هين فى جانب الغرس الفكرى فى الوطن الاسلامى مما فيه قتل للعقل الاسلامى وجعل المسلم يسير بالجسم المسلم والعقل الأوربى والعقيدة الأوربية ، حتى فى اللباس الأوربى بدلا من لباس التقوى وصورة الاسلام .

ونظرا لأن هذه الآونة بالذات قد شهدت مولد الإمام كان لنا أن نقف فيها قليلا لنسمع فيها نفثة مصدور ورأى عالم جليل تحت عنوان « الاستعمار الغربى يتسلل إلى العالم الإسلامى فى بداية منتصف القرن التاسع عشر ، وعلى التحديد فى سنة ١٨٥٧م » فيقول الدكتور محمد البهى :« تم للإنجليز الإستيلاء على الهند سياسيا ». وانتقلت سلطة الحكم رسميا من شركة الهند الشرقية (التى تأسست فى ٣١ديسمبرسنة ١٦٠٠م والتى انضمت إلى شركة أخرى جديدة فى سنة ١٦٨٩م) إلى التاج البريطانى . وزالت بذلك إحدى الدول الاسلامية الكبرى التى قامت فى مستهل القرن السادس عشر الميلادى وهى دولة المغول فى الهند أو الدولة التيمورية (نسبة إلى تيمور لنك مؤسس هذه الأمبراطورية) الاسلامية فى أسيا الصغرى . أما الدولتان الأخريان إذ ذاك ، فهما : الدولة الصفوية فى إيران ، ودولة الأتراك العثمانيين فى آسيا الصغرى وشرقى أوربا .

كما تم فى السنة نفسها ــ وهى سنة ١٨٥٧م ــ استيلاء الفرنسيين على الجزائر كلها إلى الصحراء ، بعد أن ابتدأوا غزوها سنة ١٨٣٠م .

ومن قبل هاتين الدولتين الاستعماريتين ــ انجلترا وفرنسا ــ احتلت هولندا فى بداية القرن السابع عشر جزر الهند الشرقية (أندونيسيا) عن طريق شركة الهند الهولندية التى تأسست فى سنة ١٦٠٢م . وذلك بعد ماضاع استقلال البرتغال باعلان ملك أسبانيا ضمها إلى بلاده فى سنة ١٥٨٠م . تلك الدولة التى عبرت طريق الاستعمار الغربى المسيحى فى وسط آسيا وشرقيها فى الهند وفى أندونيسيا سنة ١٥١١م ، والتى حصل ملكها من البابا اسكندر على صك رسمى بأن البرتغال : « سيدة بحار العرب والعجم والهند والحبشة » .

فبعد قرنين ونصف ، أى منذ بداية القرن السابع عشر الميلادى إلى النصف الثانى من القرن التاسع ، تمكن الاستعمار الغربى المسيحى من السيطرة سيطرة تامة على المسلمين فى وسط آسيا وشرقيها ، واتخذ له نقطة ارتكاز رئيسية فى افريقية ، كما تمكن من مد نفوذة إلى قلب العالم الاسلامى ومركزه الرسمى فى منطقة الشرق الأدنى . وبذلك طوق العالم الاسلامى من الشرق والغرب وسلط ألاعيبة ودسائسة على بقية التجمعات الاسلامية الأخرى بين هذين الطرفين . فوهنت هذه التجمعات ، وانحل عقدها ، وسقط بعضها أثر بعض تحت نفوذ المستعمر الغربى ، وماجاءت الحرب العالمية الأولى وانقضى أجلها ، حتى أصبح العالم الاسلامى كله تحت نفوذ هذا المستعمر . »(١) .

ولو أننا استطعنا حل اللغز الاستعمارى بأن الاستعمار أصله لتأمين سوق انتاجه فى الشرق فهذا يحتاج إلى دولة أو دولتين لكنه كى يمتد فيشمل جميع البلاد الاسلامية على النحو الذى رأيناه ونراه فيما بعد على فترة طويلة وحتى منتصف القرن العشرين فإن تفسير ذلك الوحيد إنما هو الأمل فى المسيحية الوثنية على الشرق الإسلامى بل بمعنى أوضح هو تنصير تلك البلاد الاسلامية بوسيلة أو بأخرى ..

وإن الأثر البالغ فى نفوس . القادة الأوربيين وعلى رأسهم رجال الكنيسة ليعبر عن ذلك أصدق تعبير ويوضحه كأجلى مايكون ..

يقول مستشرق فرنسى . « اخترق المسلمون أبناء آسيا شمال القارة الأفريقية بسرعة لاتجارى ، حاملين فى حقائبهم بعض بقايا تمدن البيزنطيين (يونان الشرق) ثم تراموا بها على أوربا ، ولكنهم وجدوا فى نهاية انبعاثهم هذا مدينة يرجع أصلها إلى آسيا بل أقرب فى الوصلة إلى المدينة البيزنطية مما حملوه معهم . ألا وهى المدينة الآرية المسيحية . ولذلك اضطروا إلى الوقوف عند الحد الذى إليه وصلوا واكرهوا على الرجوع إلى أفريقية حيث ثبتت أقدامهم أحقابا متعاقبة ، ولكن لايزال الهلال ينتهى طرفاه : من جهة بمدينة القسطنطينية ، ومن أخرى ببلدة فاس فى المغرب الأقصى ، معانقا بذلك الغرب كله ..

« فى تلك البقعة الأفريقية التى أصبحت مقر ملك الاسلام . جاءت الدولة الفرنسية لمباغتته . جاء القديس لويس . الذى ينتمى إلى أسبانيا بوالدته ليضرم نيران القتال فى

---

(١) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى الدكتور محمد البهى الطبعة التاسعة ص ٢٣

مصر وتونس ، وتلاه لويس الرابع عشر فى تهديده الامارات الأفريقية الاسلامية . وعاود هذا الخاطر نابليون الأول ، فلم يوفق إلى تحقيقه الفرنسيون إلا فى القرن التاسع عشر ، حيث أخفو على دولة الإسلام التى كانت لاتنى فى متابعة الغارات على القارة الأوربية فأصبحت الجزائر فى أيديهم منذ سبعين عاما وكذلك القطر التونسى منذ عشرين عاما » .

« إذن فقد صارت فرنسا بكل مكان فى صلة مع الإسلام . بل صارت فى صدر الإسلام وكبده ، حيث فتحت أراضيه ، وأخضعت لسطواتها شعوبه ، وقامت تجاهه مقام رؤسائه الأولين ، وهى تدير اليوم شئونه ، وتجبى ضرائبه ، وتحشر شبابه لخدمة الجندية ، وتتخذ منهم عساكر يذبون عنها فى مواقف الطعان ومواطن القتال » ثم تكلم بعد ذلك كلاما كثيرا مجمله عناصر ثلاثة رئيسية :

« أولا : إن ما لدى المسلمين من معرفة وثقافة هى بعض بقايا تمدن البيزنطيين (يونان الشرق) .. وليست ثقافة أصيلة ابتدعوها !

« ثانياً : إن رسالة فرنسا بين المسلمين الذين خضعوا لسطوتها هى : (ملح المدينة وروحها) . التى يحملها شعب آرى مسيحى جمهورى إلى شعب إسلامى سامى الأصل .. له تقاليده وعادات تغاير عادات وتقاليد المسيحيين الآريين !

ثالثا : إن المسلمين الذين وقعوا تحت سيطرة النقوذ الفرنسى ليسوا منقطعى الصلة عن بقية المسلمين فى الخارج ، بل ترتبط بعضهم بعضا رابطة قوية وديار المسلمين التى تحتلها فرنسا يعتبرها المسلمون القانطون فيها والخارجون عنها « دار حرب » وليست « دار إسلامْ » .. ولذا فالخطر موجود فى الداخل والخارج !!

هذه الروح التى تجلت عند هذا المستشرق الفرنسى ، هى نفس الروح التى يحملها المستعمر الفرنسى والإنجليزى والهولندى فى نظرته إلى المسلمين فى آسيا وأفريقية ، وفى توجيهه إياهم ، وفى سلوكه معهم .. وهى : ليست للمسلمين أصالة فى الثقافة ، فليست لهم قيمة ذاتية !

ولذا يجب على المسلمين أن ينتقلوا إلى الحضارة الأوربية الآرية المسيحية !! ويجب

على شعوب أوربا المسيحية الآرية أن تتعاون فيما بينها على دفع الخطر الإسلامى الكامن ضمن الوحدة الإسلامية : الفكرية والروحية والغائية ... » [1] .

ويذكر المستشرق بعد ذلك أن سبب الحروب الصليبية والدافع إليها هو استرداد بيت المقدس مقر المسيح وأن وجود بيت المقدس فى يد المسلمين يعنى غلبتهم .. وهذا ما لا يرضاه مسيحى واحد . إذن فا المراد والغاية من هذا الحقد الزاحف هو السيطرة المسيحية على البلاد الإسلامية شرقا كانت أو غربا حتى ولو كانت أندونيسيا أو الهند الشرقية ولو كانت الصومال قديما ولو كانت المغرب وأطراف أفريقيا المراد هو الزحف المسيحى إلى هذه البلاد والاستيلاء عليها وقلبها صليبية ترفع الصليب وتدعو المسيح .. وإضعاف المسلمين كوسيلة للسيطرة عليهم .

واتخذوا فى سبيل إضعاف المسلمين فى إسلامهم وسائل مختلفة ومتعددة تنحصر فيما يلى :

« ووسائله – الاستعمار – لذلك تنحصر فى توجيه الفكر الإسلامى نحو تحقيق هذه الغاية وقد برز هذا التوجيه فى صورتين تنم كلتاهما عن هذه الغاية :

الصورة الأولى : قيام بعض مفكرى المسلمين بحركة تقدمية فى الإسلام : تبغى تقرير سلطة المستعمر وتثبيت ولايته على المسلمين من الوجهة الإسلامية ، أو بعبارة أخرى تبغى عدم تحديه ومعارضته ، سواء فى مباشرة سلطته على المسلمين ، أو فى إدخاله ما يسميه بنظم الإصلاح الحديثة بينهم ! .

الصورة الثانية : قيام بعض الغربيين الآريين المسيحيين بإبراز الخلافات المذهبية وتأكيد الفجوات والثغرات . بين طوائف المسلمين وشعوبهم ، من الوجهة الشعوبية أو الجغرافية أو نظام الحكم .. مع شرح كثير من مبادىء الإسلام شرحا يشوهها وينحرف بها عن أهدافها الأصلية : وذلك كله بالإضافة إلى تمجيد القيم المسيحية ، والحضارة الغربية والنظام السياسى والسلوك الفردى للشعوب الغربية :

وفى مقابل هاتين الصورتين برز اتجاه إسلامى فكرى آخر وهو حركة المقاومة للإستعمار الغربى .. سواء فى مظهره السياسى أو فيما يستبطنه ويخفيه من الهجوم على

---

(١) السابق ص ٢٤ وما بعدها .

الإسلام واضعاف المسلمين . وهذا إتجاه يعتبر كرد فعل مباشر لتوجيه الاستعمار الغربى للتفكير الإسلامى فى صورتيه السابقتين .. »[1] .

وما قامت الحركات الفكرية فى الوطن الإسلامى إلا مناهضة للفكر الأوربى سواء فى أبناء البلاد أنفسهم والذين قد مالت رءوسهم وساروا فى الناس بأجسام تحمل فى طياتها عقولا غربية لا تحمل من الإسلام شيئاً ..

أو مناهضة للمستشرقين الذين دسوا السم فى العسل ، وقام بعضهم سافرا بالعداوة للإسلام ونبى الإسلام ﷺ . وشككوا فى العقائد وضعفوا الأحاديث وردوا الصحيح وجاءوا بإفك قديم .. يحمل بين جوانحه ذلك التراث القديم من العداوة للإسلام والمسلمين ..

ولعل الأحداث التى تعاقبت فى العالم الإسلامى وفى مصر بوجه خاص سواء كانت سياسية أو فكرية أو ردود فعل عسكرية ، كل ذلك يفسر المعنى السابق وهو رد الفعل للتدخل الأوربى فى البلاد الإسلامية بهذا القصد السابق لإضعاف شوكة المسلمين .

بعض الحركات الفكرية التى قاومت الإستعمار فى القرن التاسع عشر .

أولا : السنوسية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ..

والمفكر الأول الذى قامت به الجماعة الإسلامية هو « الإمام السيد محمد بن على السنوسى بن العربى » وقد ولد فى ديسمبر سنة ١٧٩٨م وتوفى فى سبتمبر سنة ١٨٥٩م[2] . أى جاوزا الستين بقليل وكانت وفاته ببرقه بأرض ليبيا ـ وفيها زاوية الجغبوب الشهيرة – ثم خلفه ابنه الأكبر السيد محمد المهدى ثم خلفه ابن أخيه أحمد الشريف[3] وجاهد السنوسيون الاستعمار الغربى ممثلا فى دولتين أولاها : الفرنسية الثانية:الإيطالية . جاهدوا مع الأولى جهادا كبيرا ودافعوها بكل شجاعة[4] .. وكانت شجاعتهم مع الطليان أكبر .. وبالرغم من أن الفرنسيين استطاعوا أن يلحقوا بالمجاهدين

---

(١)السابق ص ٢٨ .

(٢) حاضر العالم الإسلامى تأليف لوتروب الأمريكى ترجمة عجاج نويهض حـ ص ٢٩٥ تعليق الأمير شكيب أرسلان . السنوسية دين ودولة د . محمد فؤاد شاكر ص ٢٠ ، ٢٣ .

(٣) حاضر العالم الإسلامى ص ٢٩٥ جـ ١ ، السنوسية دين ودولة ص ١٢ .

(٤) السنوسى الكبير . بقلم محمد الطيب بن إدرسى الأشهب ص ٨٠ .

هزيمة كبيرة[1] فإن الإيطاليين قد أبادوا من الشعب النصف تقريبا : يقول الأمير شكيب أرسلان :

إن أخواننا الطربلسيين لأمر يريده الله . ابتلوا من الاستعمار الإيطالى الفاشيستى بالداهية الدهماء والبلة الصماء التى مهما كثرت مصائب الإسلام فى هذا العصر فلا شيء منها يشبهها ..

ثم يقول :

كل الأدلة متظاهرة من أعمال إيطاليا فى طرابلس وبرقة على أن مراد الفاشيست هو استئصال الشعب الإسلامى من ذلك القطر لإحلال اللاتين محله ، ولقد وصلت إيطاليا إلى هذا الغرض وإن لم يكن بتمامه فإلى جانب كبير منه .. فلقد كان أهالى طرابلس وبرقة قبل غارة إيطاليا عليهما مليونا ونصف مليون من النسم فلم يبق منهم الآن بحسب الإحصاء الأخير سوى سبعمائة ألف نسمة فيكون قد تناقص عددهم إلى النصف .. »[2] وقد دخل الطليان الأرض المسلمة فى اليوم الرابع من أكتوبر سنة ١٩١١م ، وطال الحرب بين قوتين غير متكافئتين وعلى الرغم من ذلك فقد تحمل السنوسيون متاعب جسيمة وأذاقوا الطليان معنى الجهاد . ووقعت المتاعب مرة أخرى من جانب العرب رحل على أثرها عزيز المصرى وبرحيله انقطعت المعونات عن المجاهدين ..

وبرحيل عزيز بك من برقة أصبحت القيادة الفعلية بيد السيد أحمد الشريف السنوسى كبير الطريقة السنوسية ، وكان أكثر اعتماده على عمر المختار فى الأمور الجهادية[3] وظل الجهاد داميا بين الطرفين حتى جاءت الحرب العالمية الثانية وقد انضمت القوات السنوسية للإنجليز مستجيرة من الطليان وما ترك الطليان أرض ليبيا حتى وضعت الحرب أوزارها واستسلم الطليان بدون قيد أو شرط .. وجماعة يؤسسها مفكر إسلامى تقوم بتلك الأعمال لهى جديرة بالذكر والثناء ..

---

(١) السنوسية دين ودولة ص ١٠٠ .

(٢) حاضر العالم الإسلامى ترجمة عجاج نويهض ص ٨٥ جـ ١ .

(٣) السابق تعليق الأمير شكيب ص ١٣٥ .

ثانيا مدرسة السيد جمال الدين الافغانى :

تتميز هذه المدرسة الفكرية بأستاذها فهى ليست قاصرة على طرف فى الجهاد دون غيره ولا ناحية منه دون سواها .. وان كانت المدرسة السنوسية بإمامها السيد محمد بن على السنوسى الكبير قد جاهدت وكذلك ما سبقها من المدارس فإنما كان جهادهم مقصورا على « تكتيل المسلمين ضد النفوذ الخارجى عن طريق استعراض أوصاف الكفر والإيمان فى ذهن المسلم ، وما يجب على المسلم من اتباعه فى شأن الولاية العامة قبل غير المسلم من الحكام والولاة ، إذا قيضن لهؤلاء أن يديروا أمر المسلمين ..

ولكن جمال الدين الأفغانى كان – إلى جانب ذلك – ينتزع الأمثلة من تاريخ الشعوب ومن تاريخ الأمة الاسلامية نفسها ، كما ينتزع الشواهد المحسوسة التى تفزع المسلمين من السياسة الاستعمارية فى البلاد الإسلامية (فى الهند ومصر على الخصوص) ... هذه الأمثلة التى كان ينتزعها من شواهد الحياة الإسلامية ومظاهرها فى وقته ، مع بيان مدى ألاعيب السلطات الأجنبية ودسائسها ، وهدفها الذى نهايته بسط النفوذ الأوربى لصالح الجماعة الأوربية وحدها على رقعة العالم الإسلامى ..

هذا الاحتكاك المباشر نفسه هو الذى أظهر حركة جمال الدين فى صورة حركة سياسية .. وهو نفسه السبب فى أن يلقى جمال الدين بمركز الثقل فى نشاطه على « الحرية السياسية » فى الشرق الإسلامى « للمواطنين جميعا : مسلمين ومسيحيين .. »[1] .

ولقد تعدد نشاط السيد جمال الدين نظرا لسعة أفقه وكثرة تنقله ووقوعه على الأحداث فى بيئتها ومعرفته الجيدة بحيل الاستعمار والمستعمرين وإخلاصه الشديد للإسلام والمسلمين وإرادته لقيام وحدة إسلامية تنمحى أمامها الأسوار ويجتمع أهلها تحت راية القرآن ..

وألوان نشاطه كثيرة متعددة لا نستطيع استقصاءها . فقد كتب وتحرك هنا وهناك وجاهد الاستعمار وحاربه وإن كانت وقفتنا معه فى الأخيرة فى مصر والهند ..

« ففى مصر : فى المدة الواقعة بين مارس سنة ١٨٧١ و ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧٩م عاصر جمال الدين بعثة وفدت سنة ١٨٧٥م إلى مصر لفحص ماليتها ، وإنشاء مصلحة للرقابة المالية يخضع الخديوى لمباشرتها وهى تلك الرقابة التى تمثلت فى « صندوق

---

(١) الفكر الإسلامى الحديث ص ٦٣ .

الغلبة والنصر وطول النفس سيكون حليفهم .. وهذا الأثر البالغ وجدناه فى قائد تلك الحركة الفكرية السيد جمال الدين .. فما أن وصل إلى مصر حتى وجد الأرض صالحة خصبة ومتعطشة والنفوس متوثبة والأنظار مشرئبة تنظر بين الحين والحين إلى قول سديد أو فكر سليم وما أن وجد كل منهم صاحبه حتى دارت الحلقة واتسعت أرجاؤها واجتمع فيها ..

« كل من الشيخ الإمام محمد عبده ، وسعد زغلول . وغيرهم من الرجال الذين سيلعبون دورا هاما على مسرح السياسة المصرية ، والحركة القومية ، وكذلك الكفاح ضد الإستعمار » ..

« وإذا كان زواره فى المنزل فى غالبيتهم من طلاب الأزهر ، فإن الملتفين حوله فى المقهى كانوا من الساسة والصحفيين والشعراء ورجال الثورة المقبلين ، فبينهم محمود سامى البارودى ، وعبد السلام المويلحى وسليم نقاش ، وأديب إسحاق ، علاوة على الشيخ محمد عبده والشيخ إبراهيم اللقانى ، والشيخ سعد زغلول ، والشيخ إبراهيم الهلباوى » ... « ولقد أثر السيد جمال الدين الأفغانى فى هذا الوسط الأدبى والصحافى والفكرى المحيط به تأثيراً كبيرا »[1] .

ولم يترك السيد جمال الدين مكانا إلا خاضه رجاء أن يصلح أهله ، ولم يجد الأعداء مبررا لإخراجه من البلاد إلا أنه رئيس جماعة من الشباب ذوى طيش وفساد ... إنه لأمر غريب أن يرمى المصلح بالفساد ويلبس الثعلب مسوح المصلحين ..

وبعد رحيل السيد جمال الدين عن مصر قام فيها تلاميذه يقود حركتهم الفكرية الإمام محمد عبده وسار الجميع فى صوب الاستقلال وتحرير البلاد . فكانت الثورة العرابية ووقوع الاحتلال الإنجليزى سنة ١٨٨٢ م ونفى أحمد عرابى زعيم الثورة ومحمود سامى البارودى إلى سيلان ، ونفى الإمام محمد عبده إلى بيروت ثم تركها إلى باريس ليلحق بأستاذه جمال الدين أما عبد الله النديم فقد اختبأ فى البلاد[2] ..

وهكذا نجد أتباع السيد جمال الدين والإمام محمد عبده قائد الحركة الفكرية فى هذا الوقت هم أصحاب الريادة السياسية والحركة الوطنية وقد ارتبطت بهم الأحداث المقاومة

---

(١) المجمل فى تاريخ مصر الحديثة د. جلال يحيى ص ٢٦٩ وما بعدها باختصار

(٢) السابق ص ٢٩٩ .

للإستعمار والمستعمرين سواء فى سنة ١٩١٩ م والتى كان زعيمها سعد زغلول أو غيرها ..

ثالثاً : مدارس أخرى

وأوضح مدرسة فكرية ظهرت فى أثر ذلك هى مدرسة الإمام أبى العزائم والتى نحن بصدد الحديث عنها .

والخلاصة فى العصر ..

أن الاستعمار لم يترك طوقا يطوق الإسلام به إلا شدة ، ولم ير خيرا يفيض إلا سارع إلى سد معينة . وليس هذا بجديد على حزب إبليس وجنوده ، ورب ضارة نافعة فلعل إخراج المسلمين من الأندلس يكون لهم كالمصل الواقى من الخروج من مكان آخر .. ولعل احتلال البلاد يعرف الناس مدى خيراتها ، وأهميتها . ولعل فكر المستعمر وعقله ومكره قد خلق فكرا مضادا يستطيع أن يقاوم ويمارن ويداهن فإن الدواهى لا تدفع بالتمائم وقد يكون وجود الاستعمار فى البلد الإسلامى قد أظهر — ونقولها بمرارة — أهل التودد إليه من تجار الخراب وسماسرة الحروب من يرون من الغرب سيدا ومن العدو قريبا وحبيبا فيكون ذلك أوضح فى التعامل معهم .

هذه تركة العصر الثقيلة التى يحملها على عاتقه ويتحمل منها على قدرة كل داخل فى العصر وقادم إليه من عالم الأرحام السالم الآ من نعم هذه تركة يرثها كل قادم على قدره . فما بالنا بإمام يشتغل بالدعوة الاسلامية يحمل على كاهله عبء أجيال من البشر هم أتباع وأبناء وتلاميذ له كيف يحفظهم من الفتن إذا لم يعلمها أو نقول كيف يعلمهم أن المؤمن يخرج من الفتنة أشد نضارة مما كان قبلها فالذهب لا يزداد بالنار إلا حسنا .. هذه تركة العصر يحملها كل إمام ويتصرف فيها بمنهج البصيرة .

للإستعمار والمستعمرين سواء فى سنة ١٩١٩ م والتى كان زعيمها سعد زغلول أو غيرها ..

ثالثاً : مدارس أخرى

وأوضح مدرسة فكرية ظهرت فى أثر ذلك هى مدرسة الإمام أبى العزائم والتى نحن بصدد الحديث عنها .

والخلاصة فى العصر ..

أن الاستعمار لم يترك طوقا يطوق الإسلام به إلا شدة ، ولم ير خيرا يفيض إلا سارع إلى سد معينة . وليس هذا بجديد على حزب إبليس وجنوده ، ورب ضارة نافعة فلعل إخراج المسلمين من الأندلس يكون لهم كالمصل الواق من الخروج من مكان آخر .. ولعل احتلال البلاد يعرف الناس مدى خيراتها ، وأهميتها . ولعل فكر المستعمر وعقله ومكره قد خلق فكرا مضادا يستطيع أن يقاوم ويمارن ويداهن فإن الدواهى لا تدفع بالتمائم وقد يكون وجود الاستعمار فى البلد الإسلامى قد أظهر – ونقولها بمرارة – أهل التودد إليه من تجار الخراب وسماسرة الحروب من يرون من الغرب سيدا ومن العدو قريبا وحبيبا فيكون ذلك أوضح فى التعامل معهم .

هذه تركة العصر الثقيلة التى يحملها على عاتقه ويتحمل منها على قدرة كل داخل فى العصر وقادم إليه من عالم الأرحام السالم الآ من نعم هذه تركة يرثها كل قادم على قدره . فما بالنا بإمام يشتغل بالدعوة الاسلامية يحمل على كاهله عبء أجيال من البشر هم أتباع وأبناء وتلاميذ له كيف يحفظهم من الفتن إذا لم يعلمها أو نقول كيف يعلمهم أن المؤمن يخرج من الفتنة أشد نضارة مما كان قبلها فالذهب لا يزداد بالنار إلا حسنا .. هذه تركة العصر يحملها كل إمام ويتصرف فيها بمنهج البصيرة .

حيـاته ونشـأته :

نستطيع أن نقسم مراحل حياته إلى أدورا ثلاثة .. ذلك لأن الإمام قد عاش ما بين سنة ١٢٨٦ من الهجرة إلى ١٣٥٦ هـ فيكون ذلك سبعين سنة قمرية وقد مرت تلك الحياة الكريمة بأدوار ثلاثة أولا : دور النشأة وتلقى العلم ، ثم دور التعليم والعمل فى الوظائف الحكومية فى مصر والسودان ، ثم بعد ذلك تأتى المرحلة الأخيرة وهى دور التفرغ الكامل للتعليم والتربية والتراث العريض الذى خلفه الإمام ..

أولا : دور النشـأة :

إمتازت نشأة الإمام فى أطوارها بالذكاء الشديد والتوفيق السديد .. وأبوين كريمين حرصا حرصاً شديداً على تعليم الأبناء وتربيتهم تربية دينية وتنشئتة إسلامية ..

ـ فحفظ القرآن الكريم صغيرا مع إخوته فى مكتب القرية وكان أسرع إخوته حفظا للقرآن الكريم وأجاد الكتابة والقراءة ولم يكتف والداه بهذا فقد كانت أسرته من ذوى اليسار فجلبت له مدرسين من العلماء يعلمونه مبادىء العلوم :

ـ فحفظ فى تلك الفترة المتون على يد الشيخ عبد الرحمن عبد الغفار وهو من علماء الأزهر الشريف فحفظ كتاب أقرب المسالك لمذهب مالك بن أنس ، وقسم العبادات من الموطأ ، ومن علم التوحيد متن السنوسية . ومن النحو الأجرومية والألفية ، ومن علم الحديث .. المختصر للإمام الزبيدى ، وكان الشيخ عبد الله المحجوب والده وهو من العلماء لا يكتفى بذلك فأخذ يحفظه كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ، وكتاب قوت القلوب لأبى طالب المكى ، وكتاب الشفاء للقاضى عياض ، وسيرة النبى ﷺ لابن هشام والطبقات الكبرى لابن سعد .. وكان يشترك مع إخوته فى تلك الدراسة الأولية .

وكان له ساعات يقضيها وحده بين الكتب فى مكتبة والده ..

وقد درس علوم التوحيد مع الشيخ الجليل محمد القفاص وكان يقضى مع هذا الشيخ وقتا وكذلك مع الشيخ محمد الخطيب فى دراسة الفقه .. وكلا الشيخين من علماء الأزهر الشريف وقد درس علم النسك والزهادة على والده السيد عبد الله المحجوب

وكذلك الشيخ غانم الخشاب .. وامتازت هذه الفترة بحبه الشديد للعلم ، وحب شيوخه له وحرصهم على إمداده بالعلوم والفهوم المختلفة لما رأوا فيه من فطنة ونجابة وأهلية للعلم والتعلم وصلاح مع صغره ...

مع اجتماعه بكثير من علماء الطبقات التابعين لمذهب السلف الصالح من الرجال الصادقين من خلال زيارة والده لهم وصحبته له ، أو زيارتهم لوالده ...[1] .

---

(١) الإمام محمد ماضى أبو العزايم . عبد المنعم شقرف ص ٢٠ .

ثانياً : دور التعليم

وكان أخوه الأكبر السيد أحمد قد أسس جريدة المؤيد مع الشيخ على يوسف سنة ١٨٨٩م وكانت له صحبة بقادة الفكر وزعماء السياسة والإصلاح .. فاستقدم الأسرة إلى القاهرة فكانت فرصة الإمام حيث التحق بالأزهر الشريف ، والتقى بقادة الفكر ..

وهنا نترك الأمام يتحدث عن تلك الفترة فيقول :

— وفى السنة السادسة عشرة من عمرى توجهت إلى الأزهر الشريف ، وكان شقيقى أحمد ماضى إذ ذاك مديراً الجريدة المؤيد فاشتغلت فى تلقى العلوم مع المحافظة على ما تألفه نفسى من دوام زيارة الأولياء وصحبة أهل الصلاح والتقوى . ثم حضرت على الشيخ حسن الطويل علوم التوحيد بالأزهر » فمالت نفسى إليه فصحبته زمنا ، وكنت أشتغل معه فى منزله بمطالعة كتب الحكمة وأصرف بعض أوقاتى فى صحبة الشيخ حسنين الحصافى » .

« وكنت فى أغلب أوقاتى أكتب شروحا ومشاهد وأذواق على بعض الأحاديث النبوية والآيات القرآنية . وأكتب بعض أبيات نظمية ومواجيد قلبية فى أمور أعتبر بها مما يدل على قدرة الله تعالى وبديع صنعه ، وصار ذكرى قراءة القرآن ، والتدبر فى معانيه . وفى كلام رسول الله ﷺ وسيرته الشريفة . وسيرة خلفائه وأهل الخير من السلف . لا لقصد أو هوى ولكن لميل من النفس ورغبة !

« .. وكنت وأنا بمصر كلما سمعت بأحد الصالحين أو بولى من الأولياء أو بعالم تقى من العلماء زرته وسمعت منه ، فإذا نطق بالحكمة أو بشىء من علوم التوحيد أو الأخلاق الفاضلة أحببته . وإن رأيت غير ذلك سلمت له أمره وانصرفت عنه ، وما وجدتنى معارضا أو منتقدا أو مجادلا ، اللهم إلا إذا رأيت ما يغضب الله عز وجل فكنت أنصح وأعظ برحمة ولين .. » .

« وكان لى إخوان يطلبوننى ليسمعوا منى ما كنت أكتبه من الأمور التى أعتبر بها .. » .

« .. ثم تخرجت فى دار العلوم وعينت مدرسا وانتقلت إلى مدينة المنيا أوائل عام ١٣١١ للهجرة . (١٨٩٢م) فكنت أؤدى الواجب على نهارا وأصرف أكثر أوقاتى بين العامة

وأهل العلم لقراءة دروس مذهب مالك والتكلم فى الأخلاق والتوحيد حتى أنست بإخوان لى يعينونى على مواجيدى .. »

« ثم انتقلت إلى الإبراهيمية من أعمال مديرية الشرقية وفيها ظفرت بإخوان أحسنوا الإصغاء والقبول » .

ثم نقلت الى سواكن وفيها قرأت البخارى لعلمائها وقسم العبادات من الموطأ للإمام مالك ، وصار لى اخوان يحسنون الإقتداء والفهم فى علوم الحكمة العالية .. « ثم إلى حلفا وكان بها كثيرون يشتغلون بالملاهى فوفقهم الله تعالى للإقبال على عمل الأركان الإسلامية وسماع علوم الشريعة ..

« ثم نقلت من حلفا الى أم درمان من أعمال السودان أيضا فقرأت الموطأ وحكم ابن عطاء الله بمسجدها وأهلها يحبون العلم وأهل العلم إلا أنهم محتاجون لفهم روح الشريعة ..

« ثم نقلت إلى الخرطوم فقرأت البخارى والموطأ والتوحيد والأخلاق وأهلها مؤهلون لتلقى علوم الحكمة العالية .. »[1]

وتلك هى الفقرة الثانية من أدوار حياته ظل فى السودان حتى أقصاه الحاكم الانجليزى سنة ١٣٣٣ هـ وذلك لدروسه وفتاويه التى كانت حربا على الاستعمار وأعوانه، ولما أحسوا ذلك منه لم يجدوا بدا من نفيه. ولما تدخل أبناؤه وتلاميذه اكتفى بإقصائة الى مصر ..

ثالثاً : جهاده فى الدعوة الاسلامية

وهى ـ المرحلة الثالثة ـ استفراغ أقصى الجهد فى الدعوة الاسلامية سياسيا وتربويا حتى لم يكن له فى اليوم والليلة من راحة إلا القليل جدا ، ومن قرأ برنامجه اليومى يتعجب من حياة كلها الجد والسفر ، والدروس اليومية ، والإملاءات للمواجيد والكتب والمجلات وردوده على الأسئلة والإستفسارات والخطابات التى ترد عليه من شتى الأنحاء ، ومقابلاته للوفود السياسية ورجال الفكر وسفراء الدول الإسلامية .. وغير ذلك مما لايقوى عليه إلا مجاهد باع نفسه وأهله لله رب العالمين .. كل هذا فضلا

---

(١) مقدمة أصول الوصول لمعية الرسول ﷺ للإمام السيد محمد ماضى أبو العزائم الطبعة الأولى ١٩١٢م .

عن تربيته لجيل كامل من العلماء والحكماء .. وتعليمهم والقاء عيون الحكم وأنوار الحكمة عليهم .. مما ظهر أثره فى التراث الخالد الذى أبقاه زخرا للمكتبة الاسلامية . وظل هذا العطاء المتدفق من ميزاب الحقائق النورانية .. حتى كان آخر اجتماع له بأبنائه وتلاميذه فى السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٥٦ من الهجرة فما أن رحل الأبناء والتلاميذ حتى دعوا لتشييعه وتوديع تلك الحياة النورانية والعلم الربانى والمواجيد القلبية والوالد والمعلم والمربى الذى أحسوا معه بالقربة . وفى جواره بالأوبة . وفى رؤياه بالأمن وفى صوته بالحق الذى يجمع الخلق على الحق » وبالحال الذى يهجم على القلوب فيجذبها الى علام الغيوب ، ودعوه .. وقد ظل باقيا فى تراثه وتلاميذه .. وجهادة ومأثور قوله .. وحياته التى لاتنسى ومواجيده التى لا تستقصى ..

صور الجهاد عند الامام :

لم يعرف عن الامام فى حياته كلها بأدوارها الثلاثة والمعروفة سابقا أنه هاون الاستعمار أو رضى به ساعة من الزمان فضلا عن يوم واحد ..

وقد كانت ثورة عرابى والتى انتهت بالإحتلال الانجليزى لمصر سنة ١٨٨٢م كانت والإمام صبيا فى الثالثة عشر من عمره ..

ولكنه لم يكن غافلا عما يجرى حوله من أحداث ، وأخوه الأكبر وهو منه قريب كان قد أصدر جريدة الآداب الإسلامية بالاشتراك مع الشيخ على يوسف ثم أنشأ جريدة المؤيد فلا ريب وقد ذهب إلى القاهرة فى السادسة عشرة من عمره أنه أصبح قريبا من الأحداث .. ومايجرى امام سمعه وبصره ..

فلما كانت المرحلة الثانية أو الدور الثانى من حياته امتاز هذا الدور تفعيد التربية الإسلامية على النحو الصحيح وبث روح الأخوة الصالحة ، ولم شعث الأمة الاسلامية المتفرقة أيدى سبأ .. بما كان يلقيه من دروس ، وما يمليه من كتب ومايفاض عليه من مواجيد هى احياء للروح ، وبعث لها فى ثوب قشيب كله وحياة تبعث فى إثره على النشاط لأعمار الكون وتحقيق سر الخلافة لله تعالى ..

وقد كان هذا الدور من الأهمية بمكان .. ذلك لأنه كان رعاية للنبت الصغير حتى لاتقاذفة الريح الهوجاء ، ولاتأخذه الأعاصير فتقتلعه من جذوره .. بل كان رعاية دائبة

فى الليل والنهار . وقياما على الغرس الطيب بالظلة حتى يشتد ساقه وتمتد جذوره ويقوى فى مواجهة الأعاصير فيملأ العين . ويسر الناظرين ..

فكانت تلك الفترة مهمة فى أمرين ..

أولاً : خلق قادة تربوا دينيا على الآداب الإسلامية والشمائل المحمدية والخلق العظيم بعلم يقين وعين يقين ظهرت منهم السياسة بعد ذلك من حب الله والوطن .. فلم يكونوا متاجرين فيملأ الواحد منهم الأرض جعجعة ولايظهر طحنا ..

ثانياً : خلق قاعدة عريضة من المتعلمين العارفين والنابهين الذين أدركوا باليقين الحق معنى الدين فتسربلوا به حتى كان منهم بمثابة الروح من البدن ، وعلموا من الدين أن حب الوطن من الإيمان فتكون تلك القاعدة ردءًا لجماعة القادة وغرس صالح للأمة منهم ينتشر الصلاح ويعم النور فى شتى البطاح .

وكان للإمام فى تلك المرحلة أيضا صوت عال ضد الاستعمار والمستعمرين وكذلك ضد الذين يحادون الله ورسوله .. ويتبعون غير سبيل المؤمنين من الذين يعاونون الإستعمار ويسيرون فى ركابه .

وقد انتهى هذا الدور بأن قرر الإنجليز نفيه من السودان إلى خارج البلاد الإسلامية كما جرى لمن قبله .. ولولا أن تدخل الأبناء ــ وكان منهم كثير من ذوى الشأن ــ واجتمعوا عندما سار الخبر فى انحاء البلاد وعرضها حتى كادت الثورة أن تطل فاكتفى الانجليز بتحديد إقامته فى المنيا .. ثم بعد ذلك فى القاهرة .. هذا مع فصله من عمله .. وسهر عينهم عليه حتى لاتتجدد الأحداث ولايلهب المشاعر كما كانت ..

أما فى الدور الثالث ..

فمن يطالع المدينة المنورة وهى لسان حال الامام وأبنائه ومجلته الأسبوعية يجد فيها أمر الجهاد عند الامام منقطع النظير .. مما كان سببا فى غلق المجلة .. فأنشا أخرى باسم آخر وهى الفاتح والسعادة الأبدية وهكذا كلما أغلقوا واحدة فتح أخرى وظل الأمر فيها عداوة سافرة للاستعمار وجهاد بكل معانيه . ودفع بالأمة الاسلامية إلى الوحدة والجماعة .. وإلى القيادة بالصبر والمثابرة وعدم التنازع وتوحيد الكلمة ، وخطابات موجهة للقيادة الانجليزية والمستعمر فى أى مكان . بأنه لا يهنأ مسلم براحة وقدم مستعمر على أرضه ، ومقالات الجهاد التى كان يلقيها الإمام فى الدرس العام على المسلمين فى المساجد وغيرها جمعت فى كتاب يجمع المتعة وروح الثورة والنفس العميق

الطويل ضد الاستعمار والمستعمرين والحقيقة أن استقصاء حياة الجهاد هذه فى هذا الدور يخرجنا – لطوله – عن الحد الذى قصدناه والأمل الذى رجوناه فى هذا المختصر وقد حددنا هدفه فى التربية لكننا سنقف على بعض ذلك على سبيل الإشارة من خلال المجلة الأسبوعية التى كان يصدرها الإمام ..

أولا : كثيرا ما كانت تنشر المجلة أخبار المقابلات بين الإمام وبين زعماء الثورة فى أى بلد إسلامى وكان بعضهم من أبنائه وتلاميذه .. وكانت المقابلات تتم فى بيته العامر بالقاهرة أو يذهب أحياناً إليهم فيجالسهم ويعرض عليهم مالابد منه فى أماكنهم المختلفة والأخبار فى التابلات تذكر مدعمة بالصور .

ثانياً : استضافته فى بيته لأبناء البلاد الإسلامية ـ الزعماء وغير الزعماء ـ سواء كانوا فارين من الاحتلال ـ أو كانوا متعلمين ، وفى كلا الحالين كان يقابلهم مقابلة الوالد الرءوف فيملأ القلب منهم سعادة بالدين وأنسا بأخبار سيد المرسلين ..

ومن أمثلة ذلك والأمثلة كثيرة نزول السيد أحمد الشريف السنوس ومن معه من الثوار فى بيت الإمام وترحيب الامام به ونشر المجلة أخبار الثورة فى ليبيا أولا بأول[١] .

ثالثاً : الرسائل المتبادله بين الإمام وبين زعماء البلاد الاسلامية وكذلك زعماء الأحزاب المختلفة الاسلامية ـ سنذكر بعضها إن شاء الله ..

رابعاً : المقالات التى كانت تصدر لجمع شمل الأمة ، والبغى على التفرقة تحت عنوان « الأحزاب أحزان » ومن هذا ماكان بشأن الخلافة الإسلامية وغيرها ..

ولهذه الأسباب جميعها ..

وبعد أن أقصاه الإنجليز عن السودان وأرادوا نفيه ثم حددوا إقامته لم يتركوه وشأنه مع تلاميذه وحاولوا معه بشتى الحيل أن يضموه إليهم أو يسكتوه عنهم دون جدوى فهاجموا بيته مرارا واعتقلوه مرتين فى عام واحد مرة فى ١١ ربيع الأول من عام ١٣٣٨ هـ ، والثانية فى ١٧ رمضان من العام نفسه الموافق ١٩١٩ م[١] ورغم ذلك فلم تلن قناته ، بل كان إذا رأى من الزعماء فتورا أو من الناس يأساً ، نادى فيهم بقلمه

---

(١) الامام أبو العزائم . ص ١٥٩

(٢) الامام محمد ماضى أبو العزائم ص ٨٤

ودروسه ، « إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .. » وإنه يجب على المسلمين أن يأخذوا بالوسائل ، وبالأسباب التى يرونها مشروعة ومؤدية إلى الهدف والى الغاية السامية ، فإذا لم يصلوا بعد أستنفاد الجهد ، فإنما هم عبيد مخلوقون ومربوبون ، وإنه لم تبق أمامهم سوى القوة التى هى فوق الأسباب ، فليصبروا وليصابروا وليرابطوا ، .[1] .

بعض رسائله إلى الزعماء :

ومن خطاب له الى سعد زغلول جاء فيه :

« وإنك ياأخى قد أظهرك الله فى وقت اقتضت أحداثه أن يكون كل مصرى جنديا يمد يده إلى قائد قوى الإيمان يأنس بما يستوحش منه أهل الأهواء ، صغرت فى عينه المناصب وإن جلت ، وإحتقر الحمد على مالم ينل ، وإنا لنعلم منك الإقدام فى وقت الفزع ، والتمسك بمعالى الأمور والغيرة للحق . ونعلم أن الأمة تحققت ذلك عن يقين .. وانك يادولة-الرئيس تعتقد أن كل مصرى حريض على أن يعيش حرا مستقلا ، وقد ضحى فى سبيل ذلك بالنفس والمال والولد ، وانما هى الأخلاق تجمع إذا أحسنت وتفرق إن ساءت ، وقد قال الله تعالى « ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ..»[2] .

ومن خطاب له إلى الشيخ عبد العزيز جاويش بالأستانه ـ وقد تسلل زعماء الحزب الوطنى مع الإضطهاد إلى الأستانه ثم أوربا ـ وكان يعتبره الخليفة الحقيقى للزعيم مصطفى كامل يقول : « تعلم أيدك الله تعالى أنه سبحانه أقام الحجة على أنه معنا الآن بما أظهره من يقظة المجتمع الإسلامى ، وقيامه مطالبا بحقوقه المقدسة ، إلا من سلب الله منهم الإيمان من الخوارج على الله ورسولة ﷺ ، وعلى جماعة المسلمين وإمامهم ، وقد نصر الله عبده وأعز جنده وهزم الحلفاء وحده ..

وتلك الآيات تجعلنا نسارع إلى جمع شتات الأمة ، ولم شعثها ورجوعها إلى ماكان عليه سلفنا ، مبينين لها خداع العدو ، وعاقبة الركون إليه لتتنوع أفكار الأمة ، وتنجذب جميعها إلى الحق ، قولا ، وعملا وحالا ، فيعيد الله لنا ماكان لسلفنا من العزة والتمكين فى الأرض بالحق .. »[3] .

---

(١) السابق ص ١٨٦ .
(٢) السابق ص ١٨٨ .
(٣) السابق ص ١٨٨

وحقيقة الجهاد عند الامام أنه لم يدخر وسعا فى النصيحة العامة والخاصة بل والجهاد بنفسه وقلمه ودروسه وشروحه وندواته ولقاءاته وسفره هنا وهناك ورحلاته المتعددة يذكر المسلمين دين الله تعالى وإن المجد الاسلامى لن يعود إلا بالألفة والمحبة والاجتماع على كلمة سواء .. ولا أدل على ذلك .. من سفره الى الحجاز بقصد جمع المسلمين واجتماعهم ودعوتهم إلى مؤتمر الخلافة وقد نادى عاليا بان فاقد الشى لايعطية .. ومعنى ذلك أن الخلافة هذه أمر عظيم ومسئولية كبيرة لايتحملها إلا الأمناء . وقد ظهرت تلك التربية الفكرية فى نفوس بعض ابنائه وتلاميده فكانوا أصدق قولا وأحسن عملا ـ وأسرع الناس إذا حدث ملمة فهم بالخير وللخير داعين ..

واستقصاء ذلك يطول من بطالع الكتب والمجلات والقصائد ويرى أثر ذلك باديا وأنه جهاد شاق وتام غير منقوص ..

وسيكون لنا بعد ذلك وقفه أخرى مع جهاده فى لم شعث الأمة وأمر الخلافة ووسائله لنيل المجد الاسلامى .. الذى كان عليه سلفنا الصالح من السابقين الأولين رضى الله عنهم أجمعين ..

أثاره العلمية :

ولقد تركت تلك الحياة العريضة المملوءة بالإخلاص المفعمة بالرضا جوانب علمية كثيرة .. وتراثا من الكتب والقصائد ، والمقالات المنشورة فى مجلة السعادة الأبدية والمدينة المنورة ، ورسائل ، ولقد طبع بعض التراث ولم يزل الكثير منه مبثوثا بين تلاميذه .. وسنعرض لذلك عند التربية العقلية إن شاء الله تعالى ..

الفصـــل الثانـــى

التربيـــة عنـد الامــام

التربيـــة

التربية هى تلك العملية التى يتم بمقتضاها تنمية الشخصية الانسانية وبناء الانسان الكامل داخل الهيكل الأدبى بناء يبلغ الانسان معه غايته التى يرجوها من الكمال الانسانى ويكون ذلك من جميع الجوانب النفسية والعقلية والاجتماعية فلا يهمل فيها هذا الهيكل ذاته ويكون وفقا لمعايير تتفق عليها الجماعة التى يتم فى وسطها عملية البناء وحسب الأدوار التى يقوم بها الفرد المعد للبناء والمراد من التربية .

ولهذا كانت التربية عامة شاملة بخلاف التعليم أو الثقافة والتى يقتصر دورها على بعض المراحل فى حياة الانسان أو على الأقل بعد النباء الأول وثمرة من ثماره .

أما التربية فتبدأ مع الانسان حيث كان طفلا وتستمر مع وجوده فى الحياة سواء كان ذلك فى الأسرة الصغيرة التى تتلقى الانسان فى بدئه أو المدرسة وهى المجتمع الأكبر من الأسرة الأولى ثم مع جماعة الأقران والإخوان وفى دور العبادة ويتم ذلك فى أزمان مختلفة بوسائل معلومة تأتى مرحلة بعد أخرى ولكل مرحلة مظاهرها وعناصرها وفى المراحل كلها يكون المعلم والمرشد والمتعلم والمسترشد طرفا التربية ولكن مابين التربية والتعليم لا يقتصر ذكره على كون الثانى ثمرة الأول ونتاجا لبنائه وانما نقصد فى هذا تحديد مفهوم التربية من التعليم والثقافة وبيان ماهيتها ، وهل هى علمية أو صنعة مجردة وفن قائم بذاته بمعنى هل هى نظرية علمية أو قائمة بتطبيق عملى ....

نشأة التربية ومفهومها :

لامحيص حين البحث عن النشأة من تحديد المفهوم العام للتربية ، والعكس صحيح فكلاهما قد ارتبط فى الواقع حتى أننا نقف من نشأتها على كونها علمية أو فنية أو علمية تطبيقية وكذلك كونها صناعة أى فنا أو علما يحدد لنا كيف بدأت ، وسارت فى الأمم تخطو خطواتها الأولى على غير حسبان أو رقيب . حتى صارت علما يفسح له المجال فى المكان والزمان ويفرد له الاساتذة والباحثون وله من الأسس والقواعد والبرامج والمناهج مالغيره وسواه .. والحق أنهم حينما بحثوها انقسموا فيها على النحو السابق ثلاثة أقسام ، فأما الذين جعلوها فنا وصناعة فمنهم : ابن عبدون الذى قال :

« والتعليم صناعة تحتاج الى معرفة ودراية ولطف فانه كالرياضة للمهر الصعب الذى يحتاج الى سياسة ولطف وتأنيس حتى يرتاض ويقبل التعليم » ...[1] فهو يعنى أنه لابد وأن يضاف الى العلم فى التربية ليتمكن الأستاذ من دراسة نفسية الطالب ومجاراته على حسب عقله حتى يوصل إليه مايقصده وما يرفع من شأنه ...

ومنهم أيضا ابن خلدون الذى عقد فصلا خاصا جعل عنوانه (فصل فى أن التعليم للعلم من جملة الصنائع) ومما قاله فى هذا الفصل عن صناعة التربية وفنيتها وأنها وسيلة للعلم : وذلك أن الحذق فى العلم والتفنن فيه والاستيلاء علية انما هو بحصول ملكه فى الاحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائلة واستنباط فروعه من أصوله وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق فى ذلك المتناول حاصلا وهذه الملكة هى غير الفهم والوعى .... ثم قال ويدل ذلك أيضا أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فلكل امام من الأئمة المشاهير اصطلاح فى التعليم يختص به شأن الصناع كلها ، فدل ذلك على أن الاصطلاح ليس من العلم والا لكان واحدا عند جميعهم .

---

(١) تاريخ التربية الاسلامية د / أحمد شلبى ص ١٩٠ ط ١

ثم قال ... ولقد بلغنا فى تعليم الصنائع عن أهل مصر غايات لاتدرك مثل أنهم يعلمون الحمر الانسية والحيوانات العجم من الماشى والطائر مفردات من الكلام والأفعال يستغرب ندورها .. ويعجز أهل المغرب عن فهمها .

وحسن الملكات فى تعليم الصنائع وسائر الأحوال العادية يزيد الانسان ذكاء فى عقله وإضاءة فى فكرة بكثرة الملكات الحاصلة للنفس ...[1] وكونه فنا وصناعة على مارأينا يرجع نشأته بمثل ماترجع الفنون والصناعات وأنها بدأت مع الأنسان وتطوره أو رغبته فى التطور مرتبطة فى ذلك بعجلة الحياه التى تدفعها الحاجة إلى الأمام باستمرار وعلى هذا فتلك الصناعة قديمة النشأة تطورت مع تطور العمران ونمت منذ البداية لتبصر الإنسان بما له وما علية وتحمله على الملائمة بين ماحوله وبين حاجياته وتدربه . على الطرق المقبوله له فى حياته ....

ثم نوع العبادة التى تطلب ويسعى الكل نحوها ، وبمعنى آخر تربيته من الناحية العملية تربية ضرورية للحصول على متطلبات حياته وكانت تلك التربية تتم بطريقة اندماج الانسان فى البيئة التى يحياها والناس الذين يشاركونه حياته .. فهى أولا بدائية .. حتى قطعت البشرية شوطا نحو الحضارة والتقدم فزادت ونمت تبعا لذلك وأخذت شكلا أوسع صدى وأكثر شمولا حتى عرفت المدارس فأخذت طرق التدريس التربية مظهرا من مظاهرها الأولى مشتملة على التعليم ثم بعد ذلك اخترعت الكتابة فكانت الحلقة التالية للمدارس حيث استطاع الانسان أن يضيف الى التربية اضافات لابأس بها . ثم أعقب تلك الحلقة أخرى وهى فن الطباعة فاتسعت دائرتها حتى جاء عصر الكترونيات حدث مايعبر عنه العلماء بالثورة التربوية لكن الى أى مدى يسير الأمر بالتربية والى أى منحى لانجد هناك من الباحثين خطا مستقيما يوفى بذلك اللهم الا حدسا وتخمينا لايرمى الى شىء ..

مدارس التربية :

وبهذا تعددت مدارس التربية بحسب اختلافها فى مناهج الإنسان ونظرتهم

---

(١) مقدمة ابن خلدون جـ ٣ ص ١١١٩ ، ١١٢٣ تحقيق د. على عبد الواحدوافى . ط ٢ سنة ١٩٦٧م .

إليه .. فالمدارس الفلسفية لما كان اهتمامها بعقل الإنسان دون سواه كانت التربية قاصرة على مناحى الفكر المختلفة ثم تعددت نفس المدارس وانقسمت بعضها على بعض فكانت المدرسة النفعية والواقعية والمثالية والوجودية وغير ذلك وكل مدرسة لها منهجها التربوى وأسلوبها فى التربية ..

أما المدارس الإسلامية فقد نظرت للإنسان من خلال نظرة القرآن إليه باعتباره جسما ونفسا فكانت تلك المدارس لابد وأن تشمل الجسم والنفس بالتربية فكان ذلك جديدا على التربية أو تجديدا فيها لكن خطواتهم سارت وئيدة ذلك لأنهم ارتبطوا فى التربية بالمفهوم الاسلامى ولم يخرجوا عن الإطار الفلسفى .. أى قالب فلسفى بمفاهيم اسلامية ... فلم يمكنهم التخلص كلية من المفاهيم الفلسفية وان قصدوا التخلص أو قصدوا مسايرة الوضع الاسلامى ومجاملة الفلسفة كلاهما كان له أثره الباق فى الأغلال التى ربطت التربية بمفاهيم فلسفية .

وهناك من المدارس الإسلامية من تخلص من الفلسفة كلية واعتمد فى نصوصه على الكتاب والسنة وجعل تربيته مقتصرة على مايستنبط من الأصل الإسلامى لاغير .. لكنها جاءت قاصرة على ناحية بعينها هادفة الى مرحلة من مراحل الانسان دون سواه — وقد استوفيت ذلك فى كتاب (التربية الاسلامية) ومدرستنا التى نحن بصدد البحث فيها عن التربية : مدرسة اسلامية خالصة فى قلبها وقالبها مشتملة على الإنسان الخليفة بجميع نواحيه فجاء تعبيرها رقيقا ولفظها دقيقا وأسلوبها معبرا وفكرتها واضحة وفى العرض جلاء الحقيقة :

مفهوم التربية وضوابطها عند الامام

الإنسان فى نظر الامام هو ذلك النوع الوسط الجامع بين عوالم الملكوت الأعلى وبين أسفل سافلين باعتباره روحا وجسما وهو فى هذا يشير الى قول الله تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . فلهم أجر غير ممنون »
(التين : ٤ — ٦)

ولما كانت جواذب كل جانب تميل به الى فطرته .. فجانب الروح يميل الى الخير ويحب العلم وينعم بالطاعة ويسعد بالقربة ويطمئن بذكر الله تعالى ..

وجانب الجسم ينعم بما هو من جنسه من شهوة مطعم أو مشرب أو منكح ويجد فى ذلك متعته ولذته ..

فكان التوفيق بين المطالب والتوسط بين الجواذب : هو نوع الكمال المنشود الموضوع لهذا الانسان .. لو اتبعه لبلغ الغاية هنا وهناك . فسعدت روحه ولم يحرم جسمه .. وذلك الكمال : فى جملة الاسلام الذى وضعه الله تعالى كمالا للبشرية فقال عز وجل « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » (المائدة : ٣) .

فدلالة الآية الشريفة واقع بأمرين :

أولا : قصر الكمال على الاسلام فى رتبه السامية ودرجاته المتعاقبة فلا كمال فى غيره .

ثانياً . إن الكمال واقع باستكمال رتب الاسلام الكلية والبلوغ فيه الرتب العلية وهذا مفهوم من قول الله تعالى : اليوم أكملت لكم .. فالأخذ ببعضه أخذ بدرجة فى الكمال تجذبه بعد ذلك الى رتبه العلية ..

ولعل هذا هو سر حديث جبريل فى الإسلام والإيمان والإحسان وفتح الباب أمام الترقى اليقينى بالكمال الإسلامى ..

وأوضح مثال على ذلك ..

هو استغراق النبى ﷺ فى طاعة ربه ومولاه ، قياما وقعودا فكرا وشهودا نوما وهجودا ، فكل حاله ﷺ طاعه ، فكلامه ﷺ ذكرا ، وصمته فكرا ونظره عبرا .. أى حال الطاعة غالب عليه وهذا غاية الكمال الإسلامى بل أول درجة الاسلام التى تتنزل منها الدرجات ولعل هذا بعض مايفهم من آية أول المسلمين وان كان فى الآية جمل غيرها من التفسيرات « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لاشريك له وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين » (الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣) .

فكونه ﷺ أول المسلمين من هذه الأمة .. يعنى أنه أول عابد . ومطيع بعده تتدانى رتب الطاعة . فلا رقى بغير الاسلام وإنما الاسلام عبادة

وطاعة وقربة ومودة وتخلق بأخلاق النبى ﷺ .. والآخذ بكلها لاشك أفضل من الآخذ ببعضها بتدانى المراتب ..

والإمام عندما يعرف التربية يضع تلك الموازين فى اعتبار التلميذ والطالب حتى لايضيع مع النسب إلى الاسلام حقيقة الإنتساب إليه وهى الطاعة .. والطاعة بصورتها المتفاوتة والمتعددة .. هى المعنى القريب الذى يشير إلى غاية المقصود من التكاليف الشرعية التى كلف الله تعالى بها عباده .. ، ولهذا كله يقول فى تعريف التربية والمفهوم العام عند اطلاقها بمعنى الطريق فى الطاعة إلى الله تعالى :

« عمارة كل وقت من أوقات السالك فيما اقتضاه الوقت من اللازم الشرعى عمل قلبى فقط ، أو عمل بدنى فقط ، أو عمل مزدوج منهما ..

وبذلك ينتقل على معارج القرب فى كل لمحة ونفس ، لأن الزمن هو المراحل التى ينتقل منها إلى حضرة الرب سبحانه وتعالى ، وإنما العمر هو المسافة بين العبد وربه »

إن إلى ربك الرجعى » (العلق : ٨) .

فكلما مضى من عمره نفس انتقل مرحلة إلى ربه .

وفى كل نفس له كمالات يتجمل بها إذا عمر الوقت بواجبه فإن أهمل خسر الوقت خسر الربح فيه ، وطولب بواجبه »[١] .

ومعارج القرب : هى تلك الكمالات التى يرتقى العبد فيها من درجة إلى أخرى حتى ينال الرضا فى عمله هذا من الله تعالى وهى مايعبر عنها بدرجات اليقين أن العبد غايته رضا ربه تعالى لأن رضوان الله عز وجل على عبده إنما هو فى طاعته له .. فيقين العبد بذلك يدفعه الى مواصلة السير وشحذ الهمة ودفع النوم عن نفس طالبه ..

ولابد ـ والأمر جد خطير ـ من وضع إطار عام لهذا العمل الذى يقوم به الطالب .. سواء كان من أعمال القلب أو البدن أوهما معا .. فإن

---

(١) معارج المقربين للامام السيد محمد ماضى أبو العزائم ص ٥٩ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥م

هذا الاطار العام هو الذى يحفظ على الطالب وقته ، ويختصر عليه طريقة . وهذا الإطار هو ماوضعه الإمام تحت عنوان المقدمات والضوابط .

المقدمات والضوابط

المقدمات :

العلم بالنفس والعلم بالله والعلم بأحكامه والعلم بأيامه ومن المقدمة الثانية اخلاص النية عند العمل وتأدية العمل على الوجه الشرعى ، ومنها قهر النفس عند الكسل على عمل الواجبات.[1] .

الضوابط

مسافة مابينك وبين وصولك بمقصودك ، واتصالك بمحبوبك وفوزك بالفلاح ... هو مدة عمرك المعدودة لحظاته المحدودة مسافته التى لاتزيد ولا تنقص نفساً ولا أقل ولا اكثر والعمر قصير والمطلوب عظيم والأنفاس معارج فلو اضفت نفسا فى غير عمارته بما يجعله معراجا لقربك وكنزا محفوظا لك وخيرا مدخرا لاجلك أعقبك بعدا عن الحق ونقصا من الاجر وجهلا بما لابد من عمله . ولو انفقت النفيس فى رجوعه لتعمره لاستحال ذلك وبديهى أن تلك الأنفاس مرتبة خصوصياتها بعضا على بعض كما يترتب البيت على اسه فرب ضياع وقت ادى الى رد اعمال مابعده من الأوقات ، وأن مفاتيح كنوز الأرض ما فى الاوقات من الاسرار هى القلب والعينان ، واللسان والشم والذوق واللمس والبطن والفرج فاذا عطلت تلك المفاتيح بما يشغلها بما جبلت عليه النفس من الحظوظ والأهواء والطمع والأمل والغرور وزهرة الدنيا وحب العلو فيها ونسيان الآخرة وصرفت تلك المفاتيح فى فتح ابواب الشر بجلب حطام الدنيا والعمل لها والتجمل للخلق وحب الأثرة فتح المريد على نفسه ابواب الشر ، ووقف عن السير وبقيت المسافة بينه وبين الوصول كما كانت يوم ولادته وطويت سجلات عمره مسودة بالمساوىء والغرور ، وهو لجهله يظن انه يحسن عملا حتى يتنزل به

---

(١) معارج المقربين ص ٦٠

داعى الرحيل فيقهر على مفارقة الدنيا آسفاً عليها حزينا على مافارق خائفا مما يلقاه ، وليس هذا من اهل طريق أولياء الله .

وولى الله من كان الله تعالى ورسوله ﷺ وأحكام الله وأيام الله غاية مقصوده ، وقصارى آماله وتحقق أن نوال ذلك لايكون الا بالعلم والعمل فأقبل بكلية على صرف الأنفاس ، فيما يقربه الى الله ويبلغه رضوانه وينيله الفوز فيكون قائما لله تعالى بما أوجبه ، ويكون طالبا لله فى كل أحواله وشئونه وأحوال نفسه وأحوال آهلية وحسن المعاملة ، ويكون ذلك كله عبادة لله ، يرتقى بها السالك درجات القرب ، ويفوز بطهور الحب ويتجمل بحلل القبول ، ومعانى الرضوان ويكون نومه وأكله وشربه وعمله فى الدنيا قربات وطاعات مع أنه فى عمل نفسه ولكن تعلق قلبه بربه جعل أنفاسه وحركاته عبادات .

فتنبه ايها المريد السالك ، وكن أبخل الناس بنفائس الأنفاس واكرم الناس بما عداها فى سبيل عمارتها ، فتصل إلى ربك بمضى تلك المسافة فرحا بلقائه ، لاتخاف من عقوبته ، ولا تحزن على ماخلفته وراءك ، فتكون قد فزت بالنعيم المقيم . »[1]

الأصـــول التـــى تقوم عليهـــا التربيـــة :

يرى الإمام ان التربية تقوم على أصلين .

أولاهما : صفاء النفس والثانى إستقامة الطريق[2]

فاما صفاء النفس فهو مبحث خاص نرده فيما بعد أن شاء الله تعالى وهو المقصود بالتزكية والمجاهدة ، وأما الإستقامة أو الطريق المستقيم فقد جمعها فى خصائل تشمل على اثنتى عشرة خصلة هى جامعة لأوصاف الايمان : أول ذلك الشهادتان وهى الفطرة ، والصلوات الخمس وهى الملة ،، والزكاة وهى الطهره ، والصيام وهو الجنة ، والحج وهو الكمال ، والجهاد وهو النصر ، والأمر بالمعروف وهو الحجة ، والنهى عن المنكر وهو الوقاية ، والجماعة وهى الألفه ، والإستقامة وهى العصمة ، واكل الحلال وهو الورع ، والحب والبغض فى الله وهو الوثيقة .. ويكون المريد على الطريقة المستقيمة ، ويحصل له المزيد من مشاهد التوحيد وتجدد

(١) معارج المقربين ص ٦١ .

(٢) معارج المقربين ص ٦٣

الاحوال الروحانية وتوالى الواردات الربانية ، ويكون ممن لهم الأمن وهم مهتدون اذا أعانه الله تعالى على تزكية نفسه وعلى التمسك بسنة رسول الله ﷺ ، ويعض عليها بالنواجذ عملا بما أمر ﷺ ، والتباعد . عما نهى عنه ﷺ والتجمل بفضائل أهل العلم والمعرفة من السلف الصالح ولزوم مجالس العارفين ، وسماع اشاراتهم وتلقى أسرارهم .

وكل ذلك لايتحصل عليه المريد الا اذا ابتدأ بالبحث عن عالم عامل عارف متمكن منحه الله الفقه فى قلبه وجمل ظاهره بجمال حلل السنة ، حتى اذا وجده سعى اليه حيث كان وصحبه ، مسلماله نفسه ، ملاحظا لاعماله واقواله واحواله ، حتى يتلقى عنه السنة المحمدية عملا وحالا وتعليما ، فاذا ظفر بالرجل واقتدى بهديه ورأى من نفسه الانقياد له ، صحت بدايته ، وحسنت نهايته ، وظفر بالطريق المستقيم القريب الذى يوصله الى الحق سبحانه ، وان لم يظفر بالرجل فعليه ان يبحث عن الآثار ، واعمال السلف ، وهديهم من العلماء وفى الكتب ، ويعمل بها ويترك اعمال علماء الدنيا ، ويدوم بحثه عن الرجل المرشد الحقيقى ليكون له ثواب السعى فى طلب الله تعالى : (والله لايضيع اجر المحسنين) ولا يخلو زمان من الازمنة من عارف بالله إما ظاهراً مشهورا او باطنا مغمورا ، يعرفه من اختارهم الله واجتباهم ، لأن علوم القلوب واسرار الغيوب لاترسم فى كتاب ، ولكنها تلقى من فم العارف الحى للراغب المسلم ، وبهذا يكون المريد ناهجا على الصراط المستقيم سالكا مسالك الابرار ، مؤهلا لمشاهد المقربين الاخيار »(١) .

وبهذه الأصول قد وضع الإمام اطارا كاملا للتربية ووسائلهما .. فقد تكلم عن الطريقة المستقيمة وانها جامعة لاوصاف الإيمان ، وانها تقوم على أصلين وأساسين لابد منهما : أولا : صفاء جوهر النفس ثانيا : استقامة الطريق والذى لايستقيم الا بالمرشد وهما أى تزكية النفس والمرشد هما الوسيلتان التى سنتناولهما ان شاء الله

---

(١) معارج المقربين ص ٨٩

الفصـــــل الثـالث

وســــائل التربيـــــة

أقام الإمام وسيلة واحدة وجعلها الأساس الصالح للتربية وهى ــ الوسيلة وحدها ــ كفيلة ببقية الوسائل التربوية .. ففيها الموعظة ، وفيها الحكمة ومنها العادة بالصحبة والملازمة ، وتقوم بالعقوبة إن اقتضى الأمر .. فهى جامعة لبقية الوسائل ولذلك استغنى عن الفرع بأصله مادام قد انطوى فيه ، وتلك الوسيلة هى :

﴿ **القدوة** ﴾ ويعبر عنها الامام دائما بالمرشد فهو الذى يجلى للتلميذ والطالب طريقه ولما كانت الوسيلة واحدة ينطوى فيها بقية الوسائل .. لذلك شدد الإمام فى أهليتها .. وشرط متابعتها ،، ووضع لذلك القواعد وأرس الأسس ..

والقدوة فى التربية لازم من لوازمها ..

الحاجة الى المرشد :

وانما تنبعث الحاجة الى المرشد من الحاجة للسير والسلوك أى من الحاجة للاعداد والتربية ، وان حاجة المرء فى سيره والطالب فى سلوكه تكون أشد من حاجته لطعامه وشرابه ، وان تلك الحاجة عند الامام أساسها أن الطالب المريد متبع لامبتدع ، وان طريق التربية انما هو .. اعتقاد حق واقتداء برسول الله ﷺ فى أعماله وأحواله وأخلاقه ومعاملاته فى صغير الامر وعظيمه ، وأن المنتسبين لهذا الإعداد وتلك التربية هم الذين اجتباهم الله فورثهم علوم أهل اليقين وفقههم فى الدين ووفقهم للعمل بالعزائم وزهدهم فى الدنيا ورغبهم فى الآخرة ، فهم

أئمة الهدى ، وقادة المتقين .. طهرت قلوبهم عن أن تطمئن بغير الله ، وتزكت نفوسهم فلا تسكن الى غير الله .

... حل الله العقدة عن ألسنتهم ، فنطقوا بالحكمة وجعل لهم نورا فى قلوبهم ففقهوا أسرار كتابه بسر الفطنة ... الى أن يكون فيهم القرآن امامهم والسنة حصونهم ... والخشية قوامهم والرغبة مرامهم ، هذه صفاتهم ولكن أين هم ؟(1) وبعد أن يذكر الامام صفة أهل الهدى وطريق اعدادهم يقول بعد ذلك « من هذا يظهر أنه يلزم لمن أراد أن يسلك طريق الله تعالى لتحصل له النجاة والفوز والسعادة والوصول - أن يبدأ أولا بالبحث عن الرجل الحى ، العالم بكتاب الله تعالى ، والعالم بسنة رسول الله ﷺ ، والعالم بتزكية النفوس ، وتخليصها من أمراضها ورعوناتها ، والعالم بالأخلاق المحمدية المتجمل بها ، الممنوح الحال الذى به يجرد النفوس من أوحال التوحيد العالم بعلوم اليقين ومشارب الأبرار ومشاهد المقربين العالم بحقيقة التوحيد الخالص من الشرك الخفى(2) .

« فعلى المريد الصادق أن يهتم قبل كل شيء بالبحث عن المرشد ، ليتلقى عنه العلم من عباداته وأعماله وأحواله واشاراته ، فإن العلم اذا كان من القلوب وصل الى القلوب ، والحال اذا كان عن اليقين أنتج اليقين ، والعمل اذا كان عن اخلاص انطبع فى الخيال والإشارة ان كانت من خزانة الغيوب ، استفادت بها القلوب(3) .

والامام اذا كان دافعا بالمريد الطالب الى أحضان المرشد فانه أضن به أن يضعه أو يلقيه بين من لا يعرفون الصراط السوى ومعارج القدس والنفس ، لذلك بين لنا من هو المرشد ، وما هو الرشاد والإرشاد .

وقد مر قوله فى الرشاد والإرشاد حين الكلام عن الأسوة والقدوة فليرجع اليه . وأما المرشد : فهو الصورة التى تظهر معانيها على السالك

---

(1) مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ١١٣

(2) مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ١١٥ .

(3) السابق ص ١٤٦ .

والطابع الذى ينتقش فى نفس المريد ، وانما تظهر فى السالك أعماله وأحواله ، وتنتقش صفاته وأخلاقه دون أخلاق نفسه : لأن الأقوال أعراض تزول ، تؤثر على النفس عند سماعها » ..

« فعلى المرشد اذن أن يجعل نفسه صورة كاملة مكملة بجميع مايحبه الله تعالى وأن يتحمل الشدائد والعناء ، باذلا نفسه وزمنه وماله لله سبحانه ولرسوله ﷺ حتى تنتسخ من صورته صور كثيرة تمثل الكمالات الدينية والأخلاق المحمدية والأحوال النبوية .»[1] ذلك لأن المرشد فى نفسه متبع لرسول الله ﷺ والمريد متبع للنبى فيه .. لذلك وجب أن يكون المرشد مستكمل النفس توقيراً للنبى الذى قام عنه نائبا وداعيا وهاديا فالوراثة انما هى نيابة عن النبى ﷺ فى مقام الدعوة والتربية « ولما كانت الدعوة به : كان المرشد الكامل النائب عنه بعده ثابت القدم فى دائرة « محمد رسول الله والذين معه » مرفوع الرتبة بحكم الوراثة الكاملة ، فلا يكون المرشد كاملا الا بعد تحققه بهذه الوراثة ، وهذا هو سر الدعوة الى الله تعالى ، فافهم وتأمل .»[2] .

معنـى الاتبـــاع :

قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) عندما تزول حجب الجهالة والظلمة عن الانسان الكلى الفارق : تفوح عليه نسمات روض التسليم فيسلم بالقول . وعند إسلامه يبشر بسلامته من المؤذيات الحسية دنيا وأخرى ومتى انشرح صدره للاسلام بين له نور اسم الرب المحيط بالنعيم المقيم ، والعقاب الشديد ، فيميل الى طلب الجمالات .. وينفر من غيرها فيكلف بالطاعات المؤدية الى طاعة أمر المعطى لهذا النعيم ، فتلوح له من سماع الأوامر أنوار محمدية تزين ظاهره بالأخلاق مع ملاحظة نسبة العمل اليه .

وفى هذا المقام يحصل له الاعتقاد الجازم وهو مقام الايمان . قال ﷺ (المؤمن له لمعات سرته حسنته وأساءته سيئته)[3] وتبدو له لمعات البدر من

---

(١) شراب الأرواح ص ١٦٤ ، ١٦٥ (٢) شراب الارواح ص ٥٥

(٣) هذا الحديث رواه الطبرانى عن أبى موسى الأشعرى بلفظ « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن ، وهو حديث حسن .

وراء حجاب النسبة فيفاض عليه نور من ظاهر تلك الطاعات والأخلاق يدفعه الى شم طيب باطنه ، فتنتعش روحه ، وتقوى فى استحضار معانى تلك الأعمال وهيئة مبانيها ونسبتها اليه) حتى يذوق حلاوة انفراد الحق بالوحدانية فيتوب فى كل يوم سبعين مرة من تلك النسبة الباطلة ، ويتشوق الى التعرف على مصدره ، حتى يتحقق بصحة الاتباع فى الأعمال والأقوال ، فيظهر له بدر التشريع منيرا لأفق معانيه وتتفجر عين حقائق الشريعة من فؤاده ، فيغنى فى شهود انعدامه بوجوده ويؤوب إليه ، متبعا جميع ماكان عليه السيد الأكمل رسول الله ﷺ بحيث لايلتفت قدر خردلة عن الإتباع ، من قول وفعل وحال .

وبذلك لايغيب عنه ﷺ طرفة عين ، بل يراه ساريا فى كل الاشباح والأرواح ويلهمهم الصواب فى جميع شئونهم ، وعندما يتحقق بمحبة الله تعالى ويسعد بحب الله له وهذا هو مقام الاحسان .

ولايكون الإتباع كاملا الا عند أهل هذا المقام ، وفى كل مقام من المقامات السابقة يكون صاحبه متبعا حقيقيا بحسب رتبته وان خالف من فوقه من أصحاب المقامات العالية ، ولا يمكن أن يخالفو من قبلهم فى قول أو عمل لأن الأقوال والاعمال فى كل المراتب لاتتفاوت ، لكن الاحوال والاعتقادات هى التى تتفاوت فيلزم أن تسلم لأهلها ، حتى يذوق الانسان حلاوتها من مراتبها والله يختص برحته من يشاء وهذا هو الاتباع الحقيقى .[1] .

فالبداية والنهاية بالنبى ومع النبى ﷺ ولايتصور المسلم مرشدا الا اذا كان ممتلأ من نور السيد الأكمل عليه الصلاة والسلام كما لايتصور هداية من غير هدى ولذلك وجب الاتباع من المرشد للنبى كما وجب الاتباع من الطالب المريد والسالك المجتهد للمرشد الولى ، أى اقتداء بمن اقتدى واهتداء بمن اهتدى حتى يكون موصول الهداية بالنبى ﷺ غير مبتدع أو مخترع نعوذ بالله من شر الابتداع فهو قاطع حاجب .

---

(١) شراب الأرواح ص ١٧٦

شرط التلقى

وبعد أن بين الإمام حقيقة الرشاد والإرشاد والإتباع وهو الإطار الذى يدور حوله التأهيل للإعداد بين شرط التلقى من المرشد المتبع لرسول الله ﷺ الذى أصبح وارثا باتباعه ورشاده واماما يقتدى به فى أى عصر من عصور الأمة فاذا ماظهر للسالك الطالب وجب عليه أن يقتدى به ليتلقى عنه أسرار الدعوة ونور الاعداد فاذا وجد من تلقى عنه ولم يجده تلقى ممن تلقى ، ويكون متبعا ايضا ولذلك يقول :

« وانما امام المتقين . من ورثه الله علوم الرسالة والنبوة فقام داعيا للحق بالحق دالا على الحق بالحق ، مجددا للسنة ، مبينا لسيرة السلف الصالح ، هذا هو الامام المقتدى به ، واذا أظهره الله فى عصر من العصور ، وجب على كل طالب أن يقتدى به ، أو الاقتداء بمن اقتدى بمن اقتدى به ، أو الاقتداء بمن اقتدى بمن اقتدى به ، فان هؤلاء فى الجنة ماداموا محافظين على تلك الاسرار ومن تلقى تلك الاسرار عمن تلقى عن الممنوح الذى جعل الله له نور الذى مات فأحياه الله قال الله تعالى « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » (سورة النور : ٤٠)
وكما قال تعالى : « أو من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس » — (سورة الانعام : ١٢٢) فهو على الصراط المستقيم .

وشرط التلقى : ان يكون المتلقى عنه قد تحصل على العلوم النافعة وفهم حكم الأحكام وعرف أمراض النفوس : فقام يرشد عباد الله بالقول والعمل والحال على طبق العلم والمحافظة على ما علمه من المرشد أو ما علمه ممن تلقى عنه من أبدال المرشد أو نوابه »[1]

تلاميذ القدوة (المرشد)

وانما يقوم بالتربية ... الولى المرشد والوارث للنبى ﷺ فان فقد المرشد او بعد لظروف ما — وجب ان يقوم مقامه فى الإعداد نواب

---

(١) مُذكرة المرشدين والمسترشدين ص ١٢٩ وما بعدها

المرشد الذين أعدهم لهذا ... وفى هذا يقول : « الدعوة الى الله تعالى يلزم أن يقوم بها جماعة من أهل الفضل والعقل والعرفان الذين صحبوا المرشد صحبة حقيقية بصحة بداية وحسن نية وجمال مقصد ، وتلقوا عنه أسرار عقيدته ، وفهموا أنوار حاله ، وذاقوا حلاوة فهم علومه ومعاملاته القلبية والبدنية » وعباراته واخلاقه حتى ظهرت لهم الدنيا منكشفة زوالها وبقاء تبعاتها ، من الاعمال السيئة او نوال السعادة فى الدار الأخرة ، بما من الله به عليه من حسن العقيدة وحسن العمل والخلق ، حتى زهدوا فيما فيها وأنكروا مافيها مما هو فان ، انكارا حقيقيا ومالوا الى الحق بكليتهم ،وتحققوا الخير ورأوه بعين اليقين ورأوا ما عليه الناس فأشفقو عليهم ، فبذلوا وسعهم فى إنقاذهم من الهاوية والغضب الإلهى برأفة وشفقة وحكمة ، وبيان لآيات الله سبحانه وتعالى ونعمه على العباد وذكرى لمننه عليهم ليحنوا إلى الله سبحانه ، وينهجوا على نهج رسول الله ﷺ فإذا منح الله تعالى مريدا تلك المنن فهو القائم مقام المرشد فى غيبته ، لأن الدعوة إلى الله سبحانه يلزم أن تكون عامة بين الناس للنفع العام ، فالمريد الذى آنس من نفسه بتلك الصفات وتحقق من نفسه أنها راغبة حقيقة فى نجاة الإخوان من هاوية العذاب ، وبعد المقت وأنس من نفسه أنها تعينه على عظيم شدائد الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من الصبر على الفقر والجزع وأذية الخلق وإنكارهم ، والرضا بالقليل من الدنيا ، وبذل الكثير منها لجمع القلوب على الله تعالى . وعلم حفظ نفسه من الضرر بإقبال الناس ، وحسن ذكره بينهم ، وكثرة اتباعه وتحقق صدقه فى حب الخير العام للمسلمين ، فعليه أن يقوم متجملا بحلل التواضع والإنكسار والمسكنة والذل والخضوع والخشوع والخوف من الله تعالى ، متباعدا عن الجدل ، وفتح أبوابه بالوقوع فيما يخالف السنة المجمع عليها ، أو بعمل تعود العامة على غيره جهلا منهم بالسنة إلا بعد البيان ، وكشف حقيقة السنة بالمعروف واللطف ، ويتباعد عن فتح باب الجدل ، بكشف سر من أسرار الحقائق أمام من لم يسلم ويؤمن حقيقة فإن ذلك موجب لضياع السنة ، بل وربما أوقع الجدل فى سخط الله ومقته ، وعليه أن يتباعد عن الوقوع فى الفتنة والفتن العامة ، كجلوسه فى خلوة مع النساء أو الصبيان أو دعوى أنه شريف مكى أو مدنى أو مادح ، أو يلبس ملابس الرياء كالمرقعات تكلفا ،

والعكوف فى الخلوات ترغيبا للخَلْق وذم أهل الطريق ، والمعتقدين عند العامة ويتباعد عن الطمع فيما فى أيدى الناس ، خصوصا ما يحبونه من ملبس وسلاح ودواب وكراسى وزينة إلا إذا قربوه برغبة ، مع إظهار عدم الرغبة فيه ، ولما كان النائب عن المرشد صورة له ممثلة له فعليه أن يحافظ على الأكمل من العمل والخلق وحسن الهدى ، ولو تكلفا رغبة فى ميل القلوب إلى المرشد لينالوا السعادة فإن فضله وكماله يجعل القلوب تألف المرشد وإذا خالف ذلك كان قاطعا من قطاع الطريق ، وإن كان محفوظا إلا إذا أحب ميل القلوب وستر فضائل المرشد فإن ذلك يكون قطيعة له وإن لم يضر غيره وعلى العموم فالمريد الأولى له أن يلازم على تطهير نفسه وتزكيتها ، ويشتغل بالإقبال على الله تعالى ويجعل الدعوة إلى الله من أكمل عمله وأجملها ليقترب بها إلى رسول الله ﷺ»[1] .

ونحن فى هذا الاتجاه لانجد ثغرة قد تركها أو تركتها المدرسة من غير أن تقوم على حراستها بإخلاص وصدق وعزيمة ومراعاة لله تعالى وأملا فى نيل رضوانه .

---

(١)معارج المقربين ص ٩٠ .

الباب الثاني

ميادين التربية



الفصل الأول

التربيـــة النفســـية

يرى الإمام فى النفس رأى الحكماء فيعرض ذلك بأسلوب بديع وصنع عجيب حتى تكاد النفس أن تخرج من البيان إنسانا سويا له الإرادة والاختيار بل تعلو حتى ترتقى إلى الملكوت أو تدنو فى مهبط أدران السفل فالنفس « جوهرة سماوية روحانية نورانية اذا لم تتراكم عليها الجهالات ، ولم تدنسها الأعمال السيئة وحجبت بالاخلاق الرديئة بقيت محجوبة عن ادراك الحقائق الروحانية بعيدة عن الوصول الى الله تعالى وحجابها جهالتها جوهرها ... وأما اعوجاجها فهو من اجل عقائدها الفاسدة واخلاقها الرديئة ... فاذا شاهدت أنوار الملكوت وأسرار اللاهوت اشتاقت الى الجناب العلى ... والا بقيت كأنها عمياء تحرص على الدنيا ولا تميل الى الآخرة »[1] »

فالنفس هنا جوهر نفيس ان بقى على حاله ... وان تعرضت للجهالة والحجب فهى فى عمى وتيه .. فهى عالية فى الأصل والخلقة قابلة للتحمل كما تتحمل الجواهر أعراضها وتلك خطوة فى النفس بليغة وعالية .

تعريف النفس :

على هذا يرى الامام أن النفس ليست بجسم ولا بعرض بهذا لاتتحيز ولا تتغير فاصلها اللطافة والصفاء وتدرك جميع الأشياء بالسوية دون أن يلحقها

---

(١) معارج المقربين ص ٦٢ وما بعدها بتصرف يسير .

ملل أو كلل وتلك حقيقة اللطيف وبعض خصائصه التى تجعل ثمة بون بينه وبين الأجسام التى من شأنها النصب والوصب والتعب والملل والكلل والجسم لايعلم الا بالحواس وهى وان كان لها بعض العلم من الحواس الا أن لها البعض الآخر من نفسها مما تكاشف به من اسرار الملكوت والفقه فى دين الله ... فهى الحكم وليس المحكوم عليه فى الانسان وهى المراد عند اطلاق معنى الانسان فاذا قيل هو فليس رسمه وانما هو نفسه محل الخطاب ... ويجمع الامام ذلك فى قوله عنها : « وقف العقل الكامل عن ادراك حقيقة النفس ورسمها بحد ، لأنها من أمر ربنا سبحانه وتعالى كما قال سبحانه وتعالى (قل الروح من امر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ولا يزال الانسان من لدن نشأته الأولى والنفس محل بحثه ونظره ، حتى ان اكثر العلماء المتقدمين والحكماء المسلمين ، رأوا أنها ليست بجسم ولا بعرض لأنهم اثبتوا وجودها لما لها من الافعال الخاصة بها والاحوال القاصرة عليها ، التى تغاير بالمرة أعمال الجسم وخواص الاعراض ، وتضاد ايضا اجزاء الجسم وخواصها ، حتى لاتشاركه فى حال من الأحوال وتباين الاعراض وتضادها كلها غاية المباينة ، من حيث الاجسام اجسام ، والاعراض أعراض ، لأنه ثبت ان النفس لاتتميز ولا تتغير ، وتدرك جميع الاشياء بالسوية بدون أن يلحقها فتور أو ملل ولا كلل ، وشرح ذلك ان أى جسم من الاجسام له صورة فانه لايمكن ان يقبل صورة أخرى من نوع صورته الأولى الا بعد ان يفارق صورته الأولى مفارقة حقيقة ، فانه لو فرضنا ان جسماما على شكل مربع أو مثلث واردنا ان نجعله مستطيلا او اسطوانيا فلا يمكننا ذلك الا بعد مفارقتة شكله الأول وكذلك اذا نقش فى جسم ماصورة من الصور ، فلا يمكن ان ننقش فيه صورة أخرى الا بعد مفارقته الأولى حتى لو بقى فيه بعض الصورة الأولى لما قبل الصورة الثانية على التمام ، بل تختلط به الصورتان ، والمثل بينه والحال أننا نجد أنفسنا نقبل صورة الأشياء كلها على تباينها وكثرة أنواعها من المحسوسات والمعقولات بغير نقص ولا تفاوت ولا مفارقة للأولى ، ولا تعاقب ، ولا زوال رسم ، بل تبقى الصورة الأولى تامة ، وتقبل الرسم الثانى ثم لاتزال تقبل الصورة المختلفة ، صورة بعد صورة دائما أبدا بدون أن تضعف أو تفتر فى وقت من الأوقات عن قبول مايرد عنها من الصور الأخرى

وهذه خاصة من خواصها تباين بها الاجسام ، ولهذا الخاصة يزداد الانسان فهما كلما ارتاض ، وتكمل بالعلوم والآداب ، ينتج عن هذه المقدمات أن النفس ليست جسما ، وتقرر أنها ليست عرضا ، لأن العرض لايحمل عرضا ، ولأن العرض فى نفسه محمول أبدا موجودا فى غيره ، لاقوام له بذاته وجوهر النفس قابل أبدا حامل ماهو أتم وأكمل من حمل الاجسام للاعراض .

لهذا يظهر ان النفس ليست جسما ولا جزءا من جسم ، ولا عرضا ، هذا الطول والعمق والعرض من المعانى التى صار الجسم بها جسما تحصل فى قوة النفس الوهمية من غير ان تصير به طويلة عريضة عميقة ، وتزداد فيها تلك المعانى أبدا . فلا تغيرها عن حقيقتها ولا تتغير اذا تصورت كيفيات الجسم من الألوان والطعوم والروائح ولا يمنع بعضها قبول بعض من أضدادها كما يمنع فى الجسم ، وكذلك حالها فى المعقولات بذلك يثبت أن طباعها وجوهرها يباين طباع الجسم والبدن ، وأنها أكرم جوهر مع شوقها الى معرفة الحقائق الكونية .

من هذا حكموا أن النفس ليست جسما ، ولا جزءا منه ولا عرضا ، والمراد بالنفس اذا أطلقت النفس الملكية التى تسمى بالناطقة — واذا أردت أن اعرفها فانما تعرف بما يقرب حقيقتها لاحقيقتها ، فأقول هى جوهرة سماوية روحانية نورانية من أمر ربنا سبحانه وتعالى ومما قلته فيها :

نفسى هى الكنز فيها سر معناه ... بغير كيف وفيها نور مجلاه
جهلى بها الحجب عن علمى بمبدعها ... وعلمها كشف حجبى فهم معناه
نفسى مثال تراءى لى به وضحت ... آياته وبه أعطيت جدواه
نفسى له صورة تنبى مشاهدها ... إذا تحقق ان المبدع الله
جهلى بها اللبس والتشكيك اجمعه ... وعلمها الكشف عن غيب واخفاه
جهلى بها التية بل والبعد عن نسب ... بها يلوح جمال الوجه أجلاه
لو أنها أشرقت نفسا لعالمها ... فكت طلاسمه ورقى لعلياه
يانفس مانت نور أنت أم عرض ... أم كوكب مشرق بضياء مبناه
وهل بك الجسم قد قامت معالمه ... أو قمت فيه فهذا السر [illegible]

حيرت أفكار أهل العقل لم يصلوا إلى يقين وفيك ضل أهداه
العقل يعقل محسوسا ونسبته لايدركن رتبتي والمنعم الله
سري خفي عن الألباب يحجبها عنه نظائره فيه وأشباه
من امر ربى ومن يطلبه يعرفه فيعرف الله رب العرش مولاه
ونفحه منه تجلى للمراد له فتشهد الوجه بالتنزين عيناه
من كان يعرفنى بالفضل يعرفه أنا المثال له أفق لمرآه »[1]

ولقد كشف الامام النقاب عنها فى هذه القصيدة حتى لم يبق بعد علمها جهل او الجهل بها علم ، ولا تدخل فى كيفيتها وكنهها فى مرتبة العقل المقيد بل هى سر من أمر الله تعالى .. وهى باب المعرفة وسر الوصول .

قـوى النفـس

بين الامام ان النفس واحدة ولها ثلاث قوى ... فهى تمثل مملكة فى الجسم يقودها من غلب وقهر واما تلك القوى فهى ، قوى تسمى النفس الملكية او الناطقة وقوة تسمى النفس البهيمية او الشهوانية ، وقوة تسمى النفس السبعية او الغضبية والانسان لايكون انسانا كاملا الا بالنفس الملكية والنفس الملكية كما يوضحها الامام ويجلى خفاياها : « هى النور المضيء لافق الحواس العامة الذى به الادراك والفقه والحركة ، فى عوالم الملكوت ، وكشف اسرار التجليات وفهم غوامض العلوم والتجمل بجميل الأخلاق وكمال الصفات ، ومتى صار لها السلطان على البدن كان الانسان ملكا واكمل لأن الملائكة تتولى صنعته ودفع المضره عنه ، وتسخر له فى مقعد صدق ، وتلك النفس الملكية هى المدبرة لجميع النفوس ، وانما تكون قائمة بامور الجسم اذا قهرت بقية النفوس ، وحبستها عن نزعاتها ورعونتها ، فان تسلطت عليها النفوس الأخرى كان لها تدبير شئون تلك النفوس واعانتها على غاياتها وبذلك يكون الانسان حيوانا واقل او شيطانا وأضر نعوذ بالله تعالى من تسجيل سوء القضاء على الانسان والحكم عليه بسابقة السوء .

وتزكية النفس الملكية يكون بمعاونة من الله تعالى ، بصحبة مرشد عارف

---

(١) معارج المقربين ص ٦٤ – ٦٦

بامراض النفوس ورعوناتها ، حتى يكبح تلك النفوس ويخضعها للملكية ، فتسارع فى رغباتها من الفكر والذكر والقربات والثقة بالله تعالى ، وحسن معاملة الخلق والانتهاج على منهج السيد ﷺ ، وبذلك تتجرد النفس الملكية للاعمال الخاصة بها من العروج الى فسيح الملكوت ، والشوق الى حضره القدس ، فيكون البدن منجذبا معها خاضعا لها مطيعا لاوامرها ، حتى يرد موارد المقربين ، ويفوز بالقرب من رب العالمين ، والتشبه بالانبياء والصديقين والشهداء والصالحين ويتأهل بالتخلق بأخلاق ربه ، وعندما يتفضل ذو الفضل العظيم فينفخ فيه من روحه الروح التى بها العقيدة الحقة ، والاخلاق الفاضلة ، والعبادات والمعاملات »[1] .

والنفس الغضبية (السبعية)

بها دفع المضار عن الإنسان وجلب المنافع فهى التى بها الشجاعة والاقدام والصبر وعلو النفس ، والحلم وتحمل الشدائد فى اكتساب الخيرات والمبادرة الى عمل القربات ، اذا انقادت الى النفس الملكية وبها الهلع والجزع والطيش والتهور والتعدى والكبر والظلم والجور اذا اهملت عن التهذيب والتزكية .[2] .

والنفس الشهوانية :

وبها تحصل العفة والحياء والزهد ، والورع والأمانة والخشية والرهبة والرغبة فالرجاء والطمع فى الفضائل إذا تهذبت وانقادت للنفس الملكية ، ويحصل بها الفجور والفسوق والفحشاء والجبن والمذلة والتعلق والخداع والشره والكيد والمكر وسوء الظن والتطرف فى الشهوات اذا أهملت فالنفس السبعية والشهوانية يتحدان على الشر فتكون منهما قوة شيطانية تجذب الانسان الى المساخط والمقت ، وينحط حتى يكون أضل من البهائم سبيلا ، وأضر من الشياطين عملا ، ويتحدان على الفضائل حتى يكونا قوة واحدة لمعاونة النفس الملكية ، فيتشبهان بها فى اطاعتهما أوامر الله سبحانه وتعالى والعمل بما كلف ، فلا

---

(١) معارج المقربين ص ٨٠

(٢) معارج المقربين ص ٨١

يعصيان الله ماأمرهما ويفعلان به حتى تتحد تلك النفوس كلها فتصير نفسا واحدة ، كما قيل لرجل : صف لنا بنى فلان : فقال : هم الف وفيهم حكيم ، فهم يصدرون عن راية فكانهم الف حكيم وهكذا تترقى النفس الغضبية والشهوانية الى ان تكملا كمالا حقيقيا وتتحدا بالنفس الناطقة ، فتنالان الفوز بالفردوس الاعلى فى النعيم المقيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا[1] .

فضائل النفس ورذائلها

لما كانت القوى ثلاثة (الملكية ، والسبعية ، والبهيمية) وكل تنزع الى أصلها فاذا قويت أضرت بغيرها لذلك يرى ان التوسط خير فيقول « وقد تكون تلك القوى مع التوسط نفسا واحدة لأنها تنقاد للنفس الملكية فلا تختار الا ما يحبه الله تعالى ورسوله من العقائد والعبادات والاخلاق والمعاملات .. ويكفى المطلع ان للنفس قوى ثلاث متباينة يقوى بعضها ويضعف حسب المزاج او العادة او التزكية ، ولما كان لكل نفس كمال به يكون جمالها وتصدر عنها الفضائل كانت الفضائل ثلاثة ، لأن للنفس الملكية فضيلة وهى العلم والحكمة لانها متى كانت حركة النفس الملكية من ذاتها معتدلة واشتاقت الى المعارف الصحيحة التى ليست بجهالات حدثت عنها فضيلتها التى هى فضيلة (العلم اللازم لها الحكمة) ومتى كانت حركة النفس الشهوانية معتدلة منقادة للنفس الملكية غير منهمكة فى اتباع هواها حدثت عنها فضيلة (العفة ويلزمها السخاء) ومتى كانت حركة النفس الغضبية معتدلة مقتدية بالنفس الملكية غير متهيجة حدثت منها فضيلة (الحلم وتلزمها فضيلة الشجاعة) ومتى اعتدلت تلك النفوس وقويت النفس الملكية وظهرت الفضائل الثلاث ، لزمها فضيلة رابعة وهى اكمل الفضائل واعلاه وهى فضيلة (العدالة) فالفضائل اذن اربع : العلم ويتبعه الحكمة ، والعفة ويتبعها السخاء ، والحلم ويتبعه الشجاعة ، والعدالة وهى جماع الخير والفخر ، ويتوفرها فى الشخص السعادة ولا فخر بغيرها ومن افتخر بآبائه واجداده فذلك لان الله وهبهم تلك الكمالات ومن عليهم بهذه المحاسن ، ولا تكون تلك الفضائل فضائل حقيقية الا اذا ظهرت لوازمها فى غير الشخص المتجمل بها ، فان العلم لايكون فضيلة للشخص الا اذا نفع غيره ، والشجاعة

---

(١) معارج المقربين ص ٨١

لاتكون كذلك الا اذا نفعت الغير بالذود عن الدين وعن الضعفاء وعن الأعراض واقامة الحدود ، والسخاء لايكون فضيلة إلا اذا بذل المال فى وجوهه الشرعية ، واعان به العلماء العاملين ، الاتقياء الصالحين لوجه الله العظيم ، وكل تلك الفضائل لاتسمى فضائل حقيقية الا اذا كان صاحبها من العارفين بالله تعالى العالمين بتصريف الأحوال والنيات »[1] .

وأما رزائل النفس :

« الرزائل اربع وهى اضداد الفضائل : الجهل ، والشره ، والجبن ، والجور وتحت هذه الأجناس أنواع من الرذائل لاتحصى وهى امراض نفسانية تحدث منها علل كثيرة كالخوف والحزن والغضب لغير الله تعالى ، وأنواع العشق الشهوانى وضروب من سوء الخلق »[2] .

امراض النفس وعلاجها :

وتلك الرذائل التى مر ذكرها هى سبب مرض النفس وفسادها .. وان كان الامام يرجع تلك الرذائل الى اصول ثلاثة يرى انها سبب فساد النفس .. وتلك الثلاث هى :

الكبر : الذى اوقع ابليس فى القطعية واللعنه .

الطمع : الذى هو سبب المعصية لأبينا آدم حيث أهبط بسببه من الجنة لأنه طمع فى الخلود فى الجنة .

الحسد : الذى دعا قابيل أن يقتل أخاه هابيل ، حسدا له على النعمة عليه بأخت هابيل ،[3] والطالب الراغب والمريد الصادق هوالذى يبتعد عن الرذائل التى تنتج المفاسد والمضار للجسم والنفس .

وهذه الأمراض التى تنتجها المفاسد وتقع بسبب الرذائل انما تقع لأمرين عظيمين .

الأمر الأول : اختلاف تركيب الجسم او فساد المزاج .

الأمر الثانى : مرضها من سوء الاعتقاد والعياذ بالله[4] .

ويندرج تحت الأمرين كثير من الامراض والاعراض الناتجة عنه ، وطريق العلاج من

---

(١) معارج المقربين ص ٦٨

(٢) معارج المقربين ص ٧١

(٣) مذكره المرشدين والمسترشدين ص ٢٦٧

(٤) مذكرة المرشدين ص ٢٥٤

الأمر الاول هو فن الطب والتربية السليمة والتنشئة الصحيحة للصغير ... اما الأمر الثانى : فيرى علاجه بأمرين .

الأمر الأول

ان يبادر من حصلت منه المخالفة ـ للمرشد ان كان مسترشدا ـ فيعرض عليه أمره ثم يعمل مايكلفه به مما هو شفاء لنفسه وتوبة من ذنبه غير خجل ولا متستر فان اصحاب رسول الله ﷺ كان الرجل منهم اذا نس او اخطأ دفع الأمر الى رسول الله ﷺ وقام فنجز مايكلفه به فمنهم من يقول (زنيت يارسول الله) وغير ذلك مما قل وكثر فاذا خجل المخالف أو رأى ان رفع الأمر للمرشد فضيحة فقد تهاون بيوم القيامة وجهل الفضيحة فيه ودعا التساهل لصغير المخالفة الى الوقوع فى كيدها حتى قد تبلغ به الحالة الى ان يترك عمل الواجبات .

واما اذا كان ليس له مرشد ، بان كان من العلماء او كان من القائمين بالدعوة الى الله فالواجب عليه اذا رأى نفسه أوقعته فى الحماقة والغضب والعداوة بين الناس ان يبادر بأن يتعرض لسفيه أحمق يسبه بين الناس وليتحمل ذلك ويفرح ليعالج نفسه ويرد عليها صحتها أو يبادر بأن يذل نفسه لمن كان يعظه ويقبل يده ويتوب مجاهدا نفسه بترك تلك الصفة القبيحة ، وان شعر من هذه الطريقة وتلك المبادرة بحب الشهرة والسمعة ، بادر بأن يعرض على نفسه مبدأها ونهايتها وحقارة الدنيا وزوالها .

الأمر الثانى :

وأكمل دواء النفس المبادرة بتلقى علوم الدين من أهل اليقين الذين يعلمون الناس الحكمة والموعظة الحسنة وبدعوتهم الى الله على بصيرة ويجعلون اساس دعوتهم كشف عناية الله بهم واظهار آياته فى الآفاق وفى أنفسهم بطريق مقنع ويبينون اسرار الصورة الانسانية وما احتوت عليه من غرائب الحكمة وعجائب القدرة وكيف كان مبدؤها من آيات القرآن بقوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) وغيرها ، وتباعد فى الدعوة عن غير ذكر عناية الله وابداعه للعالم كله ، الأمر الجامع حتى اذا اطمانت القلوب دعاهم بعد ذلك الى التصديق بالآخرة وبين لهم حقارة الدنيا وزوالها ودعاهم الى معرفة أنفسهم ومابه تكميلها وسعادتها .

وهذه هى الطريقة القرآنية فى الدعوة وسبل رسل الله صلوات الله عليهم فى الدلالة

والبيان ، فاقرأ أيها الأخ البار كتاب الله متدبرا وتأمل قصصه متفكرا واعتبر بتكرار أخبار الرسل صلوات الله عليهم وسلامه »[1] .

وإذا كنا قد وقفنا على النفس فى معرفتها وقواها وكيفية حصول الفضائل أو الرذائل فقد علمنا بهذه النقاط الثلاثة مكمن الداء ، ولم يبق إلا وصف الدواء .. ودواء النفس بالمجاهدة حتى تتزكى وتزكيتها حتى تصفى والمجاهدة أو التزكية امر لابد منه للنفس وقد علمنا قواها ولولا ذلك لهلكت وأهلكت ..

التربيـــة والمجاهـــدة :

التربية فى معناها نيل الكمالات الإنسانية ولا ينال الإنسان هذا إلا بالمجاهدة ولهذا يقول الامام تحت (المجاهدة لنيل الكمالات الانسانية)

إذا نظرت بفكرك فيما المعنا اليه من الآيات وتحققت بأنك لم تخلق عبثا وأن أعمالك محصاة عليك وأن انفاسك معدودة عليك ولا ملجأ ولا منجى لك من الله الا اليه وتحققت الحكمة التى لاجلها خلقك الله وسخر لك عوامل ملكه وملكوته واعد لك مقعد صدقه لتكون فى جواره العلى قمت من نومة غفلتك ورقدة جهالتك وبذلت ما فى وسعك

وطاقتك لتنال الغاية القصوى التى ينالها عبد مسلم آمن بالله ورسوله وبالقرآن المجيد محتقرا زينة الحياة الدنيا وبهجتها فارا من غروره سالكا طريق الاستقامة التى هى اقرب طريق فيه السلامة والنجاة وهو طريق أئمة الهدى ، الصراط المستقيم الذى بينه لنا رسول الله ﷺ ونتجنب الشرور العائقة لنا عن هذا الكمال ونفارق الخليل والصديق والصاحب اذا عاقنا عن هذا الكمال بل والزوجة والولد بل ونقلل الأكل والشرب والنوم ونهاجر من الأوطان ان كان فى ذلك نيل الكمالات النفسانية والفوز بالنعيم الأبدى وتجريد الفكر للنظر فى الآيات وكيف يرضى العاقل ان يبيع النعيم الابدى بدفع ألم يزول فان كل مانراه فى هذه الدار وهو فى الحقيقة ليس بلذة وانما هو دفع ألم أسال الله سبحانه وتعالى أن يمنحنى وإخوانى المؤمنين جميعا الخير الحقيقى فى الدنيا والآخرة إنه مجيب الدعاء حتى نسارع الى مقامات القرب والملك الكبير والنعيم الأبدى والسرور الحقيقى ونصل إلى قرة العين التى بشرنا الله تعالى بقوله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) من هذا تتحقق ان افضل الأعمال التى تصدر

---

(١) السابق ص ٢٦٢

عنك ايها الأخ وبها تتقرب الى ربك وتنال بها السعادة الحقيقية هى افعال الملكية الخاصة بها من الفكر من آلاء واستنباط ما به الخير من الافعال ومراقبة القريب والشوق الى جنابه العلى والاجتهاد فيما يقربك اليه من الاعمال بالبر والتقوى ثم تكون اعمال النفوس الأخرى مع الروية والاقتداء بالنفس الملكية والعلم بإن تلك الاعمال موافقه للكتاب والسنة صادرة عن اخلاص وصدق وبذلك تكون ايها الأخ من اولياء الله تعالى المقربين ومن عباده المخلصين ومن العارفين الروحانين الذين يبشرهم تعالى بقوله :

(لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون)[1] .

فجهاد النفس وقوفها على الشرع الشريف موردا لها تنهل منه عذب الحياة فلا تميل لسواه ... وفى الشرع غذاؤها ودواؤها وشقاؤها وصلاح أمرها .. والله تعالى قد كلف العبد بما يصلح نفسه وفرض عليه مايحفظ عليه صفاء الفطرة الأولى التى فطر الله الناس عليها .. والأخذ بالتكاليف الشرعية من احلال الحلال وتحريم الحرام والبعد عن الشبهات هو حصن النفس من المرض أو التردى والهلاك .. وتلك هى الحلقة الأولى للجهاد ولابد منه لتصح التربية .. وفى ذلك يقول الإمام نظما[2] .

عزم المريد جهاد النفس بالعمل	وهمه حظوة فى روضة الامل
يجاهد النفس بالأعمال يحبسها	عن حظها خشية التغرير والزلل
يبيت يجهدها والخوف يوقعه	لحملها وهى فى سهو وفى ملل
حتى تلين على الأعمال راغمة	فتستلذ بعزم صادق وعلى
فتدخل الحصن حصن الحفظ عن زلل	وتنهجاً بالرضا فى أقرب السبل
يرى المريد بلين النفس أن له	نيل القبول بدا والنور منه جلى

ثم يقول :

هذا الجهاد حصون عن مخالفة	بظاهر الجسم من ظلم ومن علل
به تكون قريبا للوصول إلى	فهم المعانى من الآثار والرسل

ويقول فى مكان آخر[3] :

جاهد نفوسا فيك بالشرع الأمين	واحذر قوى الشيطان فى القلب مكين
غل وكيد من حسود ماكر ..	ظلم العباد بنية فى كل حين

(١) النور المبين ص ١٠

(٢) معارج المقربين ص ١١٤ (٣) دستور السالكين طريق رب العالمين ص ٣٦

هذا اللعين به الهلال فخلـه — أسرع الى القرآن فى الركن المكين
والنفس إن تدع مساسا فاحذرن — إلا الحلال فإنـه الماء المعين
جع اضعفنها واحذرن من غيها — غصن الجفون وحاذرن فتك الكمين

إلى أن قال :

فى الشيب جاهد كالشباب وحاذرن — فالنفس شيطان يبيد السالكين

وموضوع الجهاد طويل عند الامام متنوع أيضا بل ودرجات على حسب رتب المجاهدين .. فقد يكون مجاهدا فى أول الأمر فيحتاج إلى علاج معين .. أو يكون منتهيا فيكون علاجه أكبر وهكذا .. وكل ذلك موفور عند الامام وأكثر ما نجده فى مواجيده وقصائد .. وسنذكر بعضها فى فصول من التربية إن شاء الله .. وبقى الآن أن نذكر التزكية فى تنوع مراحلها كما هى عند الامام ووسائل التزكية المتعددة .

الامام أبو العزائم فى تزكية النفس وأنواع التزكية : -

يرى الامام أن النفس قابلة للتنويع بمعنى أنها مابين عليين وأسفل سافلين تكون مراتبها .. فقد ترقى فتصير ملكا أو تتردى فتصير شيطانا . وترقيها أو ترديها إنما هو بالتزكية فإن زكيتها صفت وأن تركنا التزكية مرضت والتزكية لاتقوم سهلة بغير خبير بل كما يقول عنها : « ولتزكية النفس وسائل تخفى على كثير من أهل العلم ، وتدق على أكثر العباد والزهاد الإعلى متمكن من معرفة النفوس وعلم تهذيبها ، ومعرفة معارج رقيها ، ومدارج بعدها ومقادير الرياضات التى تستعمل لها ، حتى يصل الطبيب الى ازالة الداء وتقوية المريض حتى يصل الى مقام كمالات وجمالات عافيته . ولهذا كان الجهل بطرق تزكية النفوس سببا فى هلاك كثيرين ممن ترك الترقى على معارج القرب ، ولم يتوسط فى مجاهدة نفسه : بإفراط أو تفريط ، فان النفس إذا تزكت : صارت شمسا تدور حولها العلويات والسفليات ونستمد منها الاضاءة ، واذا بقيت فى سجن ظلمتها ، وحضيض سفلها يأتيها وقت تتمنى فيه أن تكون ترابا »[1]

ولما كان المجاهدون للنفس أنواعا متفرقة فهذا مبتدىء وهذا منته جاءت التزكيه على حسب الأنواع المختلفة شاملة إياهم فيما ذكر الامام من أنواع التزكية .

---

(١) شراب الأرواح : ص ١٢٩

والتزكية على التزكية قد جاء بعد أنواع ثلاثة ـ نوع للمجاهدة وقهر النفس على الطاعة على يد مرشد خبير عالم بالنفس وطرق تزكيتها ، فاذا جاهدت شاهدت والمشاهدة رتبة من رتب الكمال يعد بها صاحبها من الذين تزكت نفوسهم وتحصل بعد العلم والذوق وهى درجة معروفة .

أما السماع ـ فتلك حالة من التزكية تحصل بعد المشاهدة فان النفس ان تزكت والروح ان ترقت أحبت أن تسمع القرآن يتلى أمامها وعلى سمعها فتقف على عباراته وتشاهد عند حكاياته ، وترى جنته عند عرضها والنار عند الإنذار بها أى أنه يرزق النور عند السماع وهى آية الرحمة فى « لعلكم ترحمون » .

والذى يعنينا فى هذا الباب إنما هو المجاهدة والتى هى قهر النفس على الطاعة حتى تتزكى وحبسها عن الشهوات حتى ترق ومنعها ماتشتهى حتى تعطى صاحبها مايشتهى من معرفة وأن المشاهدة والسماع باب آخر وليس هنا

وتكون النفس بتزكيتها قد نالت قسطها من التربية وبقى بعد ميدانها ميادين آخرى بعدها .

أنواع تزكية النفوس :ـ

النوع الأول : وبه تكمل تزكية النفس المشاهدة عن عين التوحيد وهذه شيمة المقربين فإن من ذاق حلاوة التوحيد فى الأفعال والصفات والذات ، كان من الأفراد الكاملين ، وكان فى أعلى مراتب المهذبين ، لأن اليقين الحق حفظ نفسه من هوى يعميها ، ومن طمع يذلها وأمل يقويها ، وعمل يغريها وذلك لمشاهدته أن الكل من الله وبالله وإلى الله ، وهذه المشاهدة مطالب بها كل مؤمن ، بحيث لا يكون مؤمنا كامل الايمان إلا بقدر كمالها ..

النوع الثانى : وهو أرقى مراتب التهذيب ، وأهم هذا النوع :ـ

صحبة أهل النفوس الطيبة والمرشدين العلماء العاملين فقد يكتفى الرجل بمجلس معهم لتزكية نفسه .

النوع الثالث : وهو قمع النفس بزواجر ترك المألوف ، وحبسها فى سجن الزهد عن كل شهواتها وحظها والصبر على ذلك ، والميّل بها الى الوعد والخشونة حتى تذل وتدوم على ذلك حتى تعتاد وتألف . ومن هذا النوع : أن يترك بعض المباح له ، ويكثر من القربات والنوافل ..

وهذه الأنواع ينبغى أن يكون استعمالها على يد طبيب ماهر لأن لكل منها مضار نفسانية ـ ربما أوقعت السالك فى مهاوى القطيعة » .

النوع الرابع : تزكية النفس على تزكيتها ، ليدوم أنسها بربها ، ولا يكون ذلك إلا لأهل الشوق الشديد والغرام المحرق ، فقد يفعل ذلك المرشد فى تمكينه والمكاشف فى شهوده والسالك فى مسلكه والواصل فى نهايته ، وهم درجات عند ربهم »[1] وهذا يفتح مجال التزكية بل ويفسر الحديث السابق عن رسول الله ﷺ « وزكها أنت خير من زكاها » بأن التزكية لا تتوقف عند سالك أو واصل أو مبتدىء أو مريد بل تتناهى مع الدرجات وتكون حسب المقامات ولكل مقام نوع من التزكية غير أنها فى حق الكمل من الرجال تزكية على تزكية وفى حق الأصاغر المذنبين تزكية من المعصية ، وإذا كانت التزكية من المعاصى : فهى مجاهدة بقهر النفس على الطاعة حتى تلين الجوارح والأعضاء لذكر الله . فهى لكل مبتدىء وداع ولا تزال معه ولو صار كبيراً وشيخا داعياً .

---

(١) شراب الأرواح ص ١٣٠ وما بعدها بتصرف

الفصـــل الثانـــى
التـــربيـــة العقليـــة

رأينا عند الحديث عن التربية النفسية أن النفس تجمع فيها قوى ثلاثة : قوة الشهوة وهى تجرى مع الدم فى العروق ، قوة الغضب ومسكنها القلب ، والقوة الثالثة هى القوة النفسانية المدبرة ومسكنها الدماغ .. وهى النفس الناطقة والأولى يطلق عليها النفس البهيمية أو الشهوانية والثانية وهى النفس الغضبية ، وإن القوى الثلاثة فى النفس عبارة عن فروع متعددة لأصل واحد .. ولكن منها مايختص بالشهوة ومنها مايختص بالغضب ومنها مايختص بالتعقل والتدبر .

وليس الثلاثة بأشياء متباينة مستقلة .. وكما قلنا من قبل أيضا أنه فى إعتدال تلك الثلاث تأتى الفضائل والتى هى العفة ، والشجاعة ، والحكمة والعلم ، ثم العدل من اعتدال القوى الثلاث مجتمعة ..

فالعقل وهو : تلك القوة التى يدرك بها الانسان الأمور الكلية ، وهو عند الفارابى عبارة عن النفس الناطقة التى تميز الانسان عن غيره من باقى الحيوان . ويرى كذلك أن العقل (النفس الناطقة) ينقسم إلى أربعة أقسام :

١ – عقل بالقوة ، ٢ – عقل بالفعل ، ٣ – عقل مستفاد ، ٤ – عقل عمل أو عقل مبرز

ـــ والعقل بالقوة : هو عبارة عن هيئة فى الإنسان معدة لأن تقبل صور المعقولات ، هو عبارة عن الاستعداد الذى يكون عند الطفل قبل أن يعقل الأشياء ويدركها .

ـــ والعقل بالفعل : هو الذى يكون للإنسان بعد أن يدرك صور المحسات بواسطة الحواس والقوة المتخيلة ، فإن العقل لايصير عقلا بالفعل إلا إذا حصلت فيه صور المعقولات ، غير أن هذا الانتقال من القوة إلى الفعل لايكون من عمل الإنسان ذاته وإنما يكون ذلك بواسطة العقل الفعال . الذى هو أعلى من العقل الإنسانى فى المرتبة .

ـــ والعقل المستفاد : هو الحالة التى يستكمل فيها عقل الإنسان كماله ويصير عقلا بالفعل ومعقولا بالفعل ، ويصير المعقول منه هو الذى يعقل ويدرك ، وهذه حالة للعقل أرقى من الحالة السابقة ، والتى سميت العقل بالفعل .

ـــ والعقل العملى : هو تلك القوة التى بها يستنبط الانسان مايجب عليه فعله من الأعمال الإنسانية .. »[1]

والثلاثة الأولى مراتب العقل الانسانى ..

فحالة الاستعداد عند الطفل ـــ ولكن بغير إدراك ـــ تسمى عقل بالقوة أو العقل الهيولى ثم يعتريه إدراك بصور المحسوسات بواسطة الحواس فهو العقل بالعقل أو العقل بالملكة .. فإذا استكمل كمال العقل صار عقلا ومعْقولا ويصير المعقول منه هو الذى يعقل ويدرك . وهى أرقى من السابقة والمؤثر فى العقل فيخرجه من القوة إلى الفعل حتى يستكمل إدراكه .. العقل الفعال ..

هذه مراتب الادراكات الكلية فى الانسان كما يصوره الفلاسفة من المسلمين كالكندى والفارابى وابن سينا وغيرهم ..

وتحصل المعارف عندهم بالعقل (النفس الناطقة) والخيال (القوه المتخيلة) . الحس (الحاسة) . وكيفية ذلك :

« فإنه لاتكاد الحواس تقع على المحسات حتى تنتزع منها صورا صالحة للتعقل . ثم تنتقل هذه الصور من درجة الحس الشخصى إلى درجة الحس المشترك ، ثم إلى درجة الخيال الذى يحفظ هذه الصور التى لاتزال عالقة بالمادة ، حتى تأتى القوة الناطقة فتخلص هذه الصور من المادة . وترتب هذه الصور الجزئية الحاصلة فى العقل ، وتقارنها بعضها ببعض كى تكون من ذلك المعانى الذهنية والأمور الكلية ..

على أن المعرفة الحقة هى ماكانت من طريق النفس الناطقة (العقل) وهى المعرفة المتعلقة بالأمور الكلية والمهايا العامة .. »

---

(١) عيون المسائل للفارابى ضمن المجموع للفارابى طبع الخانجى ص ٧٤ . الفلسفة الإسلامية د. عوض الله حجازى ص ٢٢٨ .

(١) السابق ٢٣١ .

وهذه لا ينالها الانسان باجتهاده بل تتجلى عليه فى صورة هبة من الغالم الأعلى .. وهم يقصدون بالعالم الأعلى العقل الفعال ..

لكنهم متفقون على قصور العقل عن المعرفة الحقة باجتهاده .. وهو محتاج لتحصيلها إلى فيض العالم الأعلى ..

أما الشيخ الرئيس فيرى وسائل المعرفة فى العقل ، والحواس الظاهرة ، الحواس الباطنة (الحس المشترك والخيال ، الواهمة ، المنكرة ، الحافظة والذاكرة) وأيضا يقول بقصور العقل الانسانى وحاجته إلى العقل الفعال : « والعقل يكون فى أول أمره عقلا بالقوة ثم يصير عقلا بالفعل وذلك بما يصل إليه من إحساسات تؤديها إليه الحواس الظاهرة والباطنة فالعقل يخرج إذن بالاستعمال من القوة إلى الفعل وهذا يحدث بواسطة الادراك ولكن بهدى وإنارة من أعلى من واهب الصور وهو العقل الفعال الذى يفيض الصور على العقل الانسانى » .[1]

فهم متفقون إذن على قصور العقل الانسانى فى أطوار إدراكه الثلاثة وأنه لا ينال المعرفة الحقة إلا من العقل الفعال (واهب الصور عند الشيخ الرئيس) ...

ويقول ابن سينا أيضا إن المعارف ... تنقسم إلى :

الأول ــ معرفة المبادىء الأولية التى هى مثل : الكل أعظم من الجزء والواحد نصف الاثنين

الثانى ــ إدراك المجردات والكليات العامة . وهذا النوع يحتاج الى مجهود اكبر من سابقه ..

الثالث ــ معرفة الأمور الغيبية :

فالأول والثانى طريقة العقل والحس ..

والثالث : طريقة الوحى والإلهام . »[2]

فما رأى مدرستنا فى تلك الحياة العقلية ؟ وسعيها الفكرى ؟ وبمعنى آخر هل يرى الإمام قصور العقل .. ؟ ومارأيه فى العقل الفعال ؟ ومامعنى التربية العقلية عنده ؟

أما عن قصور العقل : فالامام يرى أن العقل قاصر عن إدراك الغيبيات ولكنه يستطيع

---

(١) تاريخ الفلسفة فى الاسلام لدى بور ص ١٧٨ ومابعدها وكتاب النجاة لابن سينا ص ١٦٥ ومابعدها ، ومجموعة الرسائل ص ٨٠ . والسابق ص ٢٥٥ .

(٢) السابق ص ٢٥٥

أن يعقل الكون بما ظهر فيه وأن يستدل بالآلاء الظاهرة على قدرة الحق الباهرة فيقول نظما[١] :

يعقل العقل التصور والمباني ... يفهم العقل المكون والمعاني
فوقه غيب على غامض .. ... أعجز الأرواح في حال التداني
غيب أقدار وغيب المقتضي ... غيب أوصافي ترى عند التهاني

إلى أن قال :

سلمن علم الألوهة واشهدن ... ظاهر الآيات في هذا الكيان
أعجزت قدرته كل النهي ... ردت القوة عقلا في الرهان
تابعن صفوته سلم له ... فهو مشكاة النهى عقد الجمان

فالإمام بهذا قد وضع طريق العقل فى تصوره وإدراكاته .. ولاينبغى له أن يتجاوز ذلك . وأن هذا الطريق العقلى : هو فى مبانى الكون وادراك المعانى أماماعدا دائرة الكون الظاهر فمحظورا عليه .. ومن ذلك الغيب بأنواعه سواء كان غيب أقدار أو غيب الأسماء والصفات ..

ولايرى الإمام محركا للعقل أو أمرا له أوممدا مثل الشرع الشريف ولهذا يقول : « والناس قسمان : متبع ومخالف .

فالمتبع : هو الذى يتيقن كمال اليقين أن جميع ماجاء به هذا الرسول هو عين الحق الكامل ، بحيث يلزمه أن يثق الوثوق الذى لايشوبه زلزلة ولاوهم ولاشك ، بجميع ماشهده عليه من الأخلاق والإعتقادات ، من التسليم المطلق ، سواء قبل عقله ذلك أو لم يقبله ، فلا يتخيل له أن أمرا مما شهده عليه : يحتاج إلى برهان أو آية لأنه إنما اتبعه لعلمه أنه كامل ، يريد أن يكمل بكمالاته ،

وإذا رأيت أن أمرا من الذى هو عليه يحتاج فيه إلى برهان بحسب عقلك فكأنك عارضته فى كلامه أو توهمت تقصيره وهو شك فى تصديقه ، والرسل عليهم الصلاة والسلام أتوا بأمرين عظيمين :

الأول : تطهير أخلاق الانسان من الصفات الإبليسية التى سنتكلم عليها فى أساس الأخلاق ومن الصفات البهيمية لينتظم العمران وتحسن حالة المعيشة ، وتصفوا الطباع

---

(١) عقيدة النجاة : ٤٥

البشرية وتستعد لتلقى الأسرار الإلهية . ومن قرأ القرآن الشريف بنور التسليم والإستمداد من حضرة رسول الله ﷺ : ذاق حلاوة مشرب كل الرسل ، عليهم الصلاة والسلام .

الأمر الثانى : العلم بما يجب عليه اعتقاده بالنسبة لذات الله تعالى وأسمائه وصفاته ــ سبحانه ــ مما اختص الله سبحانه وتعالى بها رسله ــ عليهم الصلاة والسلام ــ من المقامات فى الدنيا والآخرة ، وما اختص به سبحانه أولياءه فى الدنيا والآخرة . وكل هذا أمر .

وإن أمكن للعقل قبوله بالبرهان دون تصديق وتسليم ، وهو ظلمة تحجب المصدق بالبرهان عن ذوق حقائق ــ : فليس للعقل حكم عليها ، إنما تذاق وتشهد بمحض الفضل من الحق ، وهو سبحانه غنى عن الخلق ، وقد تفضل عليهم فلم يحوجهم الى البحث بالبرهان والعقل بل أرسل لهم الرسل مؤيدين بالآيات ليبينوا للناس مايختلفون فيه ، وأوضح لهم مايجب عليهم اعتقاده بالنسبة لحضرته العلية سبحانه . مع إلزامهم بأنهم يسمعون ويطيعون ، وحظر عليهم البحث أو التوهم فيما جاء به هذا الرسول . أو التأويل .

فإنه سبحانه وتعالى أعلم بقواهم العقلية منهم ، ولم يرد تعجيزهم ، لأنه لاحاجة له سبحانه فى مضرتهم ، ولامنفعتهم ، بل كلهم متهورون ، بكبرياء عظمته . فقراء إليه سبحانه وتعالى . فكان كل ذلك بمحض تفضلاته ، وعموم احسانه ، تنزلا منه ، وارادة الخير لهم .

فالواجب عليك أيها المسلم : الاعتقاد بما جاء به سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ بعمله وقوله . مع التسليم الكامل والإنقياد والرضوخ لما أمر به ، دون تخيل ولا توهم »[١] .

فاتباع العقل للشرع الشريف والانقياد له والتسليم له فى كل أوامره ونواهيه واجب لابد منه .

وقد لا يستطيع العقل أن يجيب النفس عن تساؤلات تلوح لها فى أفق الفكر الأعلى وحينئذ عليه أن يتوقف عن منطقة الغيب وأن يحجم عن دائرته حتى يمده الله تعالى بالحجة التى تكشف عنه ظلمة الحجب واللبس القاتل .

---

[١] شراب الأرواح ص ١٧٩ .

ويعالج الامام أمر العقل بأسلوب بديع وحوار عجيب عن طريق المحاورة الدائرة بين أعضاء النفس فى الإنسان بعد أن يجرد كل عضو ويوقفه أمام خصمه فتلوح الحقائق وتطهر الرقائق ويبدو الأسلوب جذاباً إلى أقصى مايكون .. ومن خلال كلام العضو عن أخيه أو ضده تظهر حقائق العضو ومكانته .. فمثلا يتوجه الخيال والوهم الى العقل فى أسلوب المحاورة والمسامرة :

« ـ أيها العقل الذى يعقل الإنسان عن الدنايا ويمنعه عن الخطايا .. ثم يقولان ـ أيها العقل أنت البرزخ بيننا وبين النفس وأنت الحاكم المسيطر على الحس .. وأنت ملجأ المظلومين بعد الله تعالى ، وبك يعذب من كفر ويثيب من والى .. »(١)

وبنفس الأسلوب يقول الفكر فى العقل :

لاترتقى أمم تكون نفوسهم	أمـــــارة بالسوء والآلام
حتى يكون العقل سلطانا على	تلك النفوس بصولة الاقـدام
كم أهلكت تلك النفوس ممالكا	نالوا العلا ومراتب الإعظـام
ساسوا وسادوا ، دمرتهم أنفس	لم تحتفـل بالعقـل والإفهـام
مولاى أدرك بالعدالـة وأشفين	من داء أنفسنـا وذل ملام
حتى تسود سيادة عقليـــة	نرقى بنور الشرع كل مقام

أيها العقل ، أنت لطالب الخير الإمام ، وبالإقتداء بك تبلغ الأمم أرقى مقام ، وأنت المصباح والشريعة زيتك ، والأساس والدين بيتك ، بل تطهر أنوار الشرائع فيعمل بها ، وتلوح حكمتها فيرغب فيها . ولولاك ماتضحت شريعة لعامل ولا نيلت بغية لآمل .(٢) .

فالعقل فى المملكة الإنسانية وزير الملك (النفس الناطقة الروحانية) فهو الحاكم على المحسوسات والمسيطر على الحس . وهو ميزان التكاليف وأداة التعريف ، إذا ملك البدن سار الكل فى طاعة وعز وقناعه .. وان ساسه البدن هلكت المملكة ، ودمرت كل شيء .. فهو قائد لامقود وفوقه الروح المصون التى أخبر الله عنها أنها من أمر الله

---

(١) محكمة الصلح الكبرى ص ٢٠ الطبعة الثانية سنة ١٩٨١م
(٢) السابق ص ٣٥ .

(النفس الناطقة الملكية) . وهذا مايعنيه بقوله . « أنت لطالب الخير الإمام . وبالإقتداء بك تبلغ الأمم أرقى مقام » .

ويأتى موقف العقل من الشريعة فى قوله :

أنت المصباح والشريعة زيتك
والاساس والدين بيتك ..

ويعنى هذا ان المصباح لايضىء من غير زيت وأن الزيت لايظهر بغير مصباح .. فبالشرع يكون الإمداد ، وبالفعل تقع التكاليف فى خير الإيجاد .. كما أن الدين والشرع بيت جميل لكنه يبنى على أساس وجود العقل .. لأنه إذ أخذ ما وهب أسقط واوجب ..

وتكون الصورة بهذا العرض تم عرضها بوضوح .. فالعقل من غير الشرع لايضىء والشرع اساس تكاليفه وواجباته وجود العقل ..

والشرع التشريف وضع إلهى يسوق العقل إلى مرضاة الله تعالى .. ولكى نقف منه على حقيقته لابد من ادراك صورته .. وهذا هو المقصود بالعلم ..

وتلك هى التربية العقلية إمداد العقل بالعلم حتى يقف فى مصاف العلماء الراسخين فى العلم .

منزلة العلم :

يرى الإمام وجوب العلم كما يجب الإيمان ويجمع بينهما فى الوجوب لما بينهما من الكمال .

حقا إن العلم فى تلك المدرسة تصفو موارده صفاء يجعل الوارد تتملكه الحيرة أيأخذ هذا أم ذاك أم جميعه فالكل تهفوا اليه النفس الصافية ... ولكنه لكثرته وتنوعه ، وعمقه وجمعه لليسر مع العمق وتتعدد مراتبه . بحيث يلين اللفظ حتى يأخذ بالنفس المريضة إلى أجواء الصحة والعافية ويملأ القلب اعتقادا يبعث صاحبه على الاطمئنان بذكر المولى تعالى بما يحمله اللفظ من المعانى أما عن حديث الأرواح وسبحها فى فيضه الطامى فحدث عنه ولا حرج ، وهذا يدل بحق على منزلة العلم فى تلك المدرسة وما أولاه الإمام إياه .

يقول الإمام فى منزلة العلم :

« أول واجب على المسلم فهو تحصيل ما به كمال التصديق الذى هو الإيمان .. لأن الإيمان هو التصديق لرسول الله ﷺ فيما جاء به من عند الله تعالى وبينه ﷺ بالقول والعمل والحال حتى وضحت العقيدة الحقة ، والعبادة الخالصة ، والمعاملة الجميلة والأخلاق الفاضلة .. لكل مسلم مهما كان عقله ، لأن الله تعالى طالب العامة بالتصديق فقط وأثنى عليهم إذا هم تشبهوا برسول الله ﷺ ، عبادة ومعاملةوأخلاقا ، وسلموا له تسليما يقتضى كمال التصديق والإيمان قال تعالى

﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (البقرة : ٣)[١] .

الواجب الثانى على المسلم :

تحصيل ما به اليقين ، بطلب العلم النافع الذى حث الله تعالى على طلبه ،وفرضه[١] ﷺ على كل مسلم ومسلمة[٢] .

العلوم النافعة

والخبير بالتربية العليم بها لايغرق الطالب فى أطراف العلم المتعددة ويبعد به عن أصوله بما يكلفه من ملحه ، حتى لايختلط على الطالب سيره فى طريق التربية ، ويأتى الامر عكس المراد ..

لكنه يرى للطالب أن يأخذ أولا من العلوم ماتصح به نفسه ويجمع بها أمره ويستقيم بها حاله ... فإن أنس من نفسه صفاء ومن قلبه اطمئناناً زاد فيها بقدر بشرط أن يصحب العلم عملا ، وإن يرزق العالم خشية .. حتى تتحقق المنفعة للطالب فى أدواره المتعددة .

فإن المنفعة فى العلم عنده للطالب متفاوته لذلك يقول : « المنفعة تتفاو بحسب مراتب الناس ومقامات اليقين عندهم فمنهم من قصد به يقينه عن علم كمالات المؤهل لها ، ونوال الخير فى آجله ولم تشرق عليه أنوار الفضائل النفسانية فتجذبه إلى جانب الحق فانغمس فى قرارة الحظوظ والأطماع ودعاه الجهل بالعاقبة إلى أن السعادة واللذة

---

(١) الحديث بلفظ « طلب العلم فريضة على كل مسلم » صحيح سنن ابن ماجه – ناصر الألبانى باب من بلغ علما . ج ١ ص ٤٤ .-توزيع المكتب الإسلامي . بيروت .

(٢) دستور آداب السلوك ص ١٢ .

محصورتان فى نوال آماله وملاذه فى تلك العاجلة ، واستخدم فى لذاته جميع قواه – ظاهرا وباطنا – وتلذذ بنواله أغراضه .

ومنهم من مشى فى الأرض مرحا جاهلا بنفسه وأهله متناسبا ماأنذر به وما بشر به تاركا وراء ظهره ماعلمه من مبادىء الدين غير مكترث بالحدود والعقوبات مادام متلذذا بحواسه سواء وافق الدين أو خالفه وسواء كان عمله فضيلة أو رذيلة ويسرع الى تعليم مابه ينال أماله من العلوم المعينة له على مشتهاه مما ينفع فى الدنيا كالصناعة والفنون أو العلوم التى ترفع فى الدنيا كعلم الدين الذى يؤهل للسيادة والرئاسة وعلم الكلام الذى يجعله مهيبا يقتدى به بين الناس محترما عند الامراء مجالسا للخاصة وهو بجهله يظن أنه أحسن عملا اذا بلغ مراده ، ونال شهوته ولذته ويتحقق أنه فى سعادة وعلو وشرف وغنى وعز لما يراه ومايحسه ويتلذذ به . وليست هذه العلوم بنافعة الا لمن جعلها درعا يقى به الدين ويحفظ به نفسه من الوقوع فى المضار من الجوع أو من البدع المضرة أو مضرة الناس بجهل مالا يدلهم منه فى المجتمع الأنسانى قربة الى الله ونفعا عاما لجماعة المسلمين » .

« فاذا تحصن العالم بتلك العلوم باخلاص النية فى تعلمها وصدق العزيمة فى العمل بها كانت له سلما يعرج عليه الى الافق المبين » .

« واذا غلبه حظه كانت له مدارج يهوى بها فى سجين نعوذ بالله من الشح المطاع والهوى المتبع والإعجاب بالرأى » .

« أما العلوم النافعه فهى علم يقوى به يقينك وعلم تحسن به عبادة ربك وعلم تحسن به معاملة اخوانك المؤمنين وعلم تحسن به معيشتك وأهلك وعلم يدوم لك به المزيد من الفضل الالهى وعلم تعلم به من أنت وماهى الآيات والحكم المودعة فيك وفى السموات والارض وفى الآفاق وتعلم به نسب مراتب الوجود ، حتى تتحقق بمعرفة ربك وعندها تكون نافعا لنفسك ولغيرك ، عبدا لله تعالى حرا بالنسبة لغيره تملك نفسك وغيرك ويسخر لك جميع الوجود لأنك عبداً لله الذى خلق كل شىء وبيده مقاليد كل شىء » .

« ولكل علم من هذه العلوم مبادىء ومسائل يتلقاها المريد ويعمل بها فيعلمه الله تعالى العلوم التى لايمكن تعلمها الا بالله عز وجل وهى علوم اليقين والتوحيد والتوكل والتفويض والصدق والإخلاص وعلوم المحبة والرغبة والرهبة والخشية والخوف والطمع

فيما عند الله ، والزهد عما فى يد البشر وعلوم الإيمان والإحسان والإيقان وعلوم الغيب بانكشاف معانى الصفات بمقتضى التجليات وظهور خفى الآيات فى مرائى المكونات » .

« وعلوم لاينبغى للعارف أن يلمح اليها باشارة من أسرار الأحدية ورموز الهوية وكنوز المجالى الذاتية وغيب الخفا وخفى الاخفى مما لايعلم علمه الا الله » .

« ولو جازت الإشارة اليه شرعا لضاقت العبارة عنه وعجزت النفوس الزكية عن فهمه وأنكرته العقول على أهله » .

« ولكن التسليم مفتاح لتلك الكنوز العالية ، والمجاهدة ، معراج تلك المراتب العلية وانما هى سوابق الاحسان ومنن المنعم المنان (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) » .

« نسأل الله تعالى أن يعلمنا العلوم النافعة وأن يعيذنا مما يشغلنا عن بلوغ الحظوة الربانية فى رياض الانس بالحق وأهلنا وأولادنا والمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .[1] .

وقد بين الامام فى هذه السطور السابقة العلوم النافعة بما يريح النفس ، ويقنع الخاطر ويطمئن به القلب التقى الصفى النقى ..... إذ جعل من تلك العلوم النافعة فى

« علـم يقـوى به يقينـك »

« علـم تحسـن به عبـادتـك »

« وعلم تحسن به معاملتك »

« وعلم تحسن به معيشتك »

« وعلم يدوم لك به المزيد من الفضل الإلهى »

« وعلم تعلم به من أنت وماهى الايات والحكم فيك وفى السموات والارض وفى الافاق » ونعلم به نسب مراتب الوجود حتى تتحقق بمعرفة ربك .»

وهذه العلوم يتلقاها المريد السالك والطالب الصادق من المرشد والامام ويعمل بها على مسرح النفس ويطبقها تطبيقا كما تلقاها من المرشد . فتثمر تلك العلوم العملية علما آخر هو العلم الذى لايمكن تعلمه إلا بالله عز وجل ومن ذلك العلم علوم اليقين والتوحيد وعلوم الغيب بانكشاف معانى الصفات بمقتضى التجليات وظهور خفى الايات فى مرائى

---

(١) شراب الارواح ص ١٥٥.

المكونات وهو العلم الفيضى ، وهو بالفضل ثمرة لما قام به من العمل الصادق والقدم السابق وهو العلم الالهى ... وهو كما بينه الامام .

أنــواع العلــوم النافعــة :

نقرأ فى علوم الرسالة والآيات الخاصة بها للامام أبى العزائم رأيا وله فى هذه الآيات معنى ووردا نرده إن شاء الله تعالى :

يقول فى الآية الأولى من دعاء إبراهيم عليه السلام فى سورة البقرة (١٢٩) .

« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم أياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » إذن فأكمل صفات رسول الله ﷺ أن يتلو علينا الآيات ، ويعلمنا الكتاب والحكمة ويزكينا ــ وهناك وصف آخر (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) .

« بذلك يمكننا أن نحكم على كل داع قام يدعوا الى الله إذا تلا علينا الآيات ، وعلمنا الكتاب والحكمة وزكى أنفسنا ، وعلمنا من علوم الغيب والإشارات مالم نكن نعلم ، أنه وارث لرسول الله ﷺ وبذلك نتحقق أن الله تفضل علينا فضلا عظيما ، فمنحنا مامنحه أصحاب رسول الله ﷺ من بيان أسراره ، وكشفَ حكمه وأحكامه ، ولم نفقد الا أن نكون معاصرين لذاته ﷺ ونكون من أصحابه رضى الله عنهم . (يتلو عليهم اياته) والمعنى بالآية هنا ماأظهره الله فى الكون من عجائب قدرته وغرائب حكمته ولك أن تقول الآيات هى ألفاظ القرآن التى تتلى للتعبد .

وقوله (ويعلمهم الكتاب) أى يشرح لهم غوامض أسراره ، ومكنون غيبه بعد تلاوته . وقوله (والحكمة) قال بعض العارفين : الحكمة هى التخلق بأخلاق الله تعالى ، وقال مالك والشافعى : الحكمة هى السنة والعمل بمقتضاها ، وقال بعض العلماء : الحكمة هى الآيات المتشابهات والحكمة هى بيان مراد الله تعالى فى حكمة أحكامه وفى قصصه ، وأحكام عبادته وتقرير أسمائه العلية وصفاته .

(ويزكيهم) التزكية هى التطهير اما من كان كافرا فيزكيهم بالطهارة من الشرك . فأما أهل الاسلام فيزكيهم من الشبه ومن الاخلاق التى لايحبها الله تعالى ، وأما أهل الاحسان فيزكيهم بأن يدعوهم الى الفرار الى الله تعالى من الوقوف عند الاسباب ، وأما أهل اليقين الحق فيدعوهم الى أن يحيطوا أسرارهم من أن يكشفوها للعامة لئلا يفتن الناس ...[١] .

---

(١) أسرار القرآن : الامام السيد محمد ماضى أبو العزائم حـ ١ ص ٢٥٣ وما بعدها بتصرف الطبعة الثانية

الكتاب : كشف أسرار القرآن الكريم وبيان حكمه ، فى الاحكام الدالة على العبادة بتفصيل المجمل منها بالعمل حتى تكمل النفس والجسم .
الحكمة : المعنى الجديد عما سبق .. مراد الله تعالى فى حكمة أحكامه وفى قصصه وأحكام عبادته وتقرر أسمائه العليه وصفاته ، والحكمة التى يعلمنا اياها رسول الله ﷺ هى الحكمة النظرية التى بها تقوى النفس بعد طهارتها فتسوح فى عالم الملك والملكوت وقد تشرف على حضرة العزة والجبروت ، والحكمة العلية وهى الجامعة لهيئات العبادات صلاة وصوما وزكاة وحجا (يعلمكم مالم تكونوا تعلمون) :

تلك العلوم نوعان : نوع عملى ، نوع شهودى
النوع العملى : مايتعلق بالواجب على الانسان لله وللمسلمين جميعا أين كانوا .

وأما الشهودى : فليس للعقل أن يحصلها ولكنها أسرار تحصل من رسول الله ﷺ ، وهى الحكمة العالية فى بعثة الرسل (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) بأنفسكم من علم النفس وعلوم التوحيد والغيب ، وعلوم مافوق المادة ..

وليست هذه المعانى بعيدة المتناول عما سبق ذكره من السابقين لكنها بروح جديدة تطلع على النفس من قبيل اشراقها فهو بمعنى أصح حديث عهد بالله تعالى ووجه التوافق بين واضح ..

فهناك : الآيات : العلامات الدالة على التوحيد والنبوة وغيرهما .
وهنا : معناها : ماأظهره الله تعالى فى الكون من عجائب قدرته وغرائب حكمته .

التزكية : الطهارة من الشرك ومن الشك هناك وتقع هذه أيضا بنفس المعنى وزيادة .

الكتاب : معانى الكتاب وحقائقه وأسراره هناك وهنا كشف أسراره وبيان حكمه وعلم الهيئات فى الاحكام الدالة على العبادة أى بمعنى أسرار القرآن ومافيه من العبادات .

الحكمة : معرفة الاحكام والقضاء فهم القرآن ومافيه من المصالح الدينيه والاحكام ، ومايزيل من القلوب وهج حب الدنيا .. وهى هنا أيضا بمعيها ماتقوى به النفس بعد طهارتها حتى تسوح فى عالم الملك والملكوت والحكمة العملية الجامعة لهيئات العبادات ..

(ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) : مما لاطريق إلى معرفته سوى الوحى هناك : وهنا نوعان : نوع عملى .. يتعلق بالواجب على الانسان نحو ربه والناس ، ونوع شهودى .. يأتى بالمعنى السابق وزيادة فيقول : « هى أسرار تحصل من رسول الله ﷺ ومنها علم

مالم تكن تعلم من علم النفس والتوحيد والغيب ، وعلوم مافوق المادة » .. وهكذا نجد المعنى قد استوفاه مع زيادة يقتضيها الوقت والحال . فرضى الله عنهم أجمعين .

رأيه في بعض العلوم الأخرى : ـ

وأما علم الصناعات والفنون ، والعلوم التى ترفع فى الدنيا ، وعلم الكلام فهذه العلوم ليست بنافعة صاحبها الا لمن جعلها درعا يقى بها الدين ويحفظ بها نفسه من الوقوع فى المضار من بدع مضلة أو جوع أو غيره ... وجعلها قربة لله تعالى . .

وأما علم المنطق .. فيراه بديهيا مع الانسان ولذلك قال فيه « ألف أرسطو ثلاث رسائل مقدمات لكتاب البرهان الذى جعله ميزانا للفلاسفه كما جعل الشعراء علم العروض ميزانا للشعر وكما جعل الناس الموازين والمكاييل والمقاييس لتقدير الاشياء ، وكتاب البرهان هذا لم يجعله (أرسطو) لكشف الغيب المصون من النبوات والمغيبات عن الحس ولكن جعله ليحكم به على الالفاظ التى يختلف فى معانيها الفلاسفه فقط والافأرسطو ومن هو فوقه يعترفون أن الالهيين يعلمهم الله علما لدنيا لا ببرهان ولا ميزان .» .

أما الرسائل التى ألفها أرسطو فالأولى : منها لمعرفة معانى العشرة ألفاظ التى يقال لكل واحد منها جنس الاجناس وأن واحدا منها جوهر والتسعة أعراضٌ وكمية أنواعها ورسومها . والثانية : لمعرفة تركيب الألفاظ مرة أخرى حتى يكون منها مقدمات ومعرفه كميه أنواعها وكيف تستعمل حتى يحصل منها اقتران القضايا ونتائجها .

« علم المنطق لازم للانسان » .

يرى ان هذا العلم يوجد مع كل إنسان فى إبان حياته . حتى انه ليكاد يكون من البديهات ثم ينمو بعد ذلك مع كل إنسان : « فالطفل بعد الرضاع يعلم أكثر البديهيات فيعلم أن البعض أقل من الكل ويبكى ليأخذ كل الشيء إذا طلبه فأعطوه جزءا منه ، ويعلم أن الكل أكثر من الجزء ويعلم أن الارض تحته وأن السماء فوقه ، ويشعر بمرتبة أبيه وأمه وأخيه والأجانب عنه ، ويفرح اذا أعطى له مايسره ويبكى اذا منع عنه مايريده .، فيحس بالمنع والاعطاء ثم تنمو تلك الغرائز المنطقية بنموه حتى يدرك ماغاب عنه من الأثار بمشهده ، فيعتقد أن البعرة تدل على البعير والصنعة تدل على الصانع ويقيس الامور بأشباهها . فليس علم المنطق من وضع فلاسفة اليونان الذى جعلوه

ويقول رضى الله عنه فى الآية الثانية من سورة البقرة : (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ...) وتلاوة الآيات هى أن يسمعنا كلام الله تعالى ، وان يبين لنا مافى الكون من بدائع إبداع آيات الله الدالة على قدرته وحكمته ، وقوله تعالى : (يتلو عليكم أياتنا) فيه تعظيم لحضرة رسول الله ﷺ ، حيث اقامه سبحانه وتعالى ليتلو الآيات المضافة الى ضمير المتكلم بلفظ (نا) الدالة على العظمة ، التى يدل معناها على أن الآيات التى تتلى هى ألفاظ الكتاب العزيز ، وبيان أسرار الكون مما ظهر للأبصار والعقول ، وما غاب عنها ، حتى تحصل لنا الطمأنينة فيكمل اليقين كما قال الله تعالى : (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) وبيان الآيات الكبرى بعبارات الصادق كرؤيتها بالعيان من حيث حصول اليقين الحق بها ... قال على عليه السلام ... (لو كشف الحجاب مازددت يقينا) كأنه يقول : ان سماع أخبار الحقائق الغيبية من الصادق كرؤيتها ... (ويزكيكم) الزكاة فى اللغة هى الطهرة والمراد هنا ــ والله أعلم ــ هو تزكية نفوسهم بما يشرحه ﷺ لنا من أسرار النشأة الاولى والثانية ، وبيان حكم الله فى ايجادنا وامدادنا ، وبيان أيات الله الخفية التى لاتعلم ولا تشهد الا ببيانه ﷺ ، وبعد التزكية أى التطهر تكون النفس مؤهلة لتلقى أسرار التوحيد العالية ، وتكون قابلة لمواجهة وجه الله تعالى .

(ويعلمكم الكتاب والحكمة) ذكر التعليم بعد التزكية وبعد تلاوة الآيات ليعلمنا الله تعالى كيف نعلم الناس ، فنبدأ أولا بتلاوة الايات ، ثم نقدم الوسائل التى بها تزكوا نفوسهم ، ثم نأخذهم بالعلم على قدر عقولهم ، حتى يحصلوا من العلم مابه تخشى قلوبهم من الله تعالى ، والكتاب هو القرآن المجيد ، وتعليمه كشف أسراره وبيان حكمه ، وعلم الهيئات فى الاحكام الدالة على العبادة بتفصيل المجمل منها بالعمل حتى تكمل النفس ويكمل الجسم : (والحكمة) الحكمة هى أقوال رسول الله ﷺ وأعماله وأحواله التى يتذوقها من سمعوا التلاوة وزكت نفوسهم وتعلموا الكتاب .

والظاهر عندى أن بلوغ الكمال المطلوب فى نيل الفوز برضوان الله تعالى مرتب على تلك الحقائق . وان كانت الواو لاتقتضى ترتيبا ولا تعقيبا وقد سبقت تلك الآية فى دعوة الخليل عليه السلام فكانت كلمة : (ويزكيهم) فى آخرها ، ولكن تلك الآية هى من كلام الله تعالى وليست خبرا عن غيره كالآية السابقة التى هى خبر عن الخليل ابراهيم عليه السلام ، والحكمة التى يعلمنا اياها رسول الله ﷺ هى الحكمة النظرية ، التى بها

تقوى النفس بعد طهارتها فتسوح فى عالم الملك والملكوت ، وقد تشرف على حضرة العزة والجبروت والحكمة العملية وهى الجامعة لهيئات العبادات صلاة وصوما وزكاة وحجا ، وبذلك يكون المسلم خليفة ربه فى أرضه ، يقوم لله بما فرضه عليه من أركان الاسلام ، ومن حسن المعاملة والمبادلة ومن جمال الأخلاق . فيكون غيثا هاطلا على الارض لينفع اخوته المؤمنين ، ولتجديد السنة ، واعلاء الكلمة بما منحه الله من العلوم والصناعات والفنون وسياسة المجتمعات الاربعة المنزلية ، والقروية ، وسياسة المدن والمجتمع الاسلامى العام .

(ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) من العلوم التى لاتحصلها العقول ولا الابدان وتلك العلوم نوعان : نوع عملى ، ونوع شهودى .

أما العملى : فما يتعلق بالواجب على الانسان لله ، والواجب عليه لوالديه ومن يليه فى منزله ، ولجيرانه ، ولأهل بلده ، وللمسلمين ، جميعا أين كانوا .

وأما الشهودى : فان الانسان لايمكن أن يعلم مايحبه الله تعالى ويرضاه منه سبحانه بالعقل ولا بالجسم ، ولكن يحصل تلك الاسرار من رسول الله ﷺ ، وهى الحكمة العالية فى بعثة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وان كان المجتمع الاسلامى لايهتدى الى خير معاشه ومعاده الا بالرسل الا أن تلك العلوم العالية التى ليس للعقل أن يحصلها ، لان العقل معقول بالقول .

(ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) بأنفسكم . من علم النفس وعلوم التوحيد والغيب ، وعلوم مافوق المادة الى أن تعرفوا الله تعالى ، فتكونون معه ويكون سبحانه معكم . [1] .

فمن المعانى السالفة نستخلص مايلى منها : —

الآيات : أسرار الكون مما ظهر للابصار والعقول ، وماغاب عنهما .

التزكية : الطهارة وتكون على حسب كل مقام فزكاة الكافر بالطهارة من الشرك ، زكاة أهل الاسلام من الشبه والاخلاق التى لايحبها الله ، وزكاة أهل الاحسان بالفرار الى الله تعالى من الوقوف عند الاسباب وأهل اليقين بحفظ أسرارهم محافظة على الناس من الفتنه .

---

(١) أسرار القرآن للامام أبى العزائم جـ ٢ ص ٢٠ ومابعدها

لاستبعاد الامم وللاستعانه به على سد المطامع واتقان الصناعات ، ولذلك فان أعلم الناس بدقائق علم المنطق يعجز عن أن يقيم دليلا مقبولا عقلا على اثبات أى حقيقة من الحقائق المقرره فكيف يمكنه أن يقيم دليلا على ماغاب عن الحس والنفس والعقل »(١)

رأى الامام فى تربية المرأة وتعليمها :

وقبل أن نترك المجال التعليمى فى مدرسة الإمام نذكر رأى الإمام فى العلوم التى تتعلمها المرأة والتى ينبغى لها تحصيلها وكيفية تحصيلها فنذكر قوله : « تتعلم الايمان ثم تحفظ مالا بد منه من القرآن ، خصوصا الايات التى تتعلق بالعفة والأمانة ، وأركان الإسلام من صلاة وصيام أولا ، والزكاة والحج عند تعيينها عليها ، وكتاب الأدب من كتب السنه مع تفصيل باب المعاشرة ومعاملة الجيران والارحام والاقارب ، وثواب من يتولى مريضا ، وبعض الاخلاق من الرحمة والشفقه على الخلق والبر والصلة ، لتعلم مايجب عليها لوالدة زوجها ووالده وأقاربه ، ويمكنها أن تقوم بتعليم أبنائها الصغار ماتعلمته من العقائد الحقه والعبادة والاخلاق حتى لاتكون سببا فى فساد عقائد الأبناء ونقش الاباطيل والبدع على صفحات قلوبهم من الطفولية ، فان تكملت بعلم أحكام الحيض والاستحاضه واليمين بالله والطلاق وكتاب العورات وعلم من يحل لها أن تبدى زينتها له أو يحرم عليها ، كان ذلك كمالا لها ، ولو زادت على ذلك أخذ شيء من علم اللسان يجعلها اذا قرأت كتابا تميز بين الفاعل والمفعول ، والمحكوم عليه والمحكوم به ، أو قرأت حديثا لاتلحن فيه كان ذلك من الفضائل »(٢) .

وهو فى هذا محافظا عليها كما أمر الشارع ولهذا قصر تعليمها فى الفنون على ماتحتاجه فى بيتها ومتطلبها حاجتها ، أما عن الأداب التى تتعلمها المرأة والتى تحتاجها المرأة المسلمة فى أهلها وبين ذويها فيقول : « تتعلم كيف تطيع زوجها وكيف تحفظ عرضها وتعاشر أقارب زوجها ، وكيف تتصرف فى المملكة التى صارت رئيستها وتتعلم الإقتصاد فى الملبس والزينة والحلى والأكل والشرب وتتعلم أن تكون رياضتها البدنية فى أوقات فراغها بتنظيف الحجر وتركيب الادوات والبحث عما يحفظ الاثاثات المنزلية وما يجعل زوجها منشرح الصدر منها ، وما يجعل ابناءها فى صحة وعافية ، وتتعلم آداب المجالسة مع أقارب زوجها وغيرها من النساء وآداب المعاشرة وآداب السلوك فى السفر والحضر »(٣) .

(١) عقيدة النجاه ـ ص ٣١

(٢) الاسلام نسب ص ١٧٣

(٣) الاسلام نسب ص ١٧٦

الأخلاق التى تتعلمها المرأة :-

تتعلم النفور من كل أجنبى لا يعنيها التكلم معه ، والوحشة من كل رجل يتعرض لها لا لحاجة شرعية ، والحدة على كل امرأة تذكر أمامها غير زوجها أو تذكر لها أجنبيا ، والعفاف بتعصب أعمى ، والغيرة على كل عضو من أعضائها أن يراه غير زوجها أو محرمها ، حتى أطراف أصابعها ، حتى تكون امرأة مصونة عفيفة ، وهكذا النساء الفاضلات كن يسترن أطراف أصابعهن [١]

لكن هل تطلب العلم كما يطلبه الرجل من المهد إلى اللحد باحثة عنه فى ودیانه وآخذة إياه من متابعة أى ساعية فى طلبه من غير حد أو قصر ؟

وهل تأخذ من هذا وذاك فى أى مرحلة من مراحل حياتها وفى سنين عمرها المختلفة فى الشباب منها والهرم ؟ يقول الإمام :

« أما من خمس الى سبع ففى المكتب مع اخوانها وأخواتها الصغار ، تتعلم القرآن والإيمان (قواعد الاسلام) والكتابة والقراءة ، وفى السنة الثامنة تتعلم مالابد منه من مبادىء الحساب والنحو والاخلاق ، وماتقدم من تعليم العلم فى مدرسة أو فى مكتب ، يلزم أن يكون رئيسه مسلما تقيا ورعا معتقدا فيه مشهورا بالصلاح ، ومعه أساتذة لايقلون عنه وكلما كان معلم البنات قد تجاوز الخمسين سنة كان أكمل ويلزم أن يتعلمن بمكتب أو مدرسة أقرب الى منزلهن ، وأن يكون بالمكتب والمدرسة محل خاصة بالصلاة فى وقتها وعقب الصلاة يعطى لهن درس عام بحسب المناسبات والاولى أن يكون خاصا بالعفاف والشرف وغض البصر ، ولا ينبغى أن يكون فى المكتب أو المدرسة معلم فى سن العشرين من عمره ولا غير مسلم ، الا اذا لم يجد المسلمون من يقوم بتعليم فن من الفنون كالتطريز والنسيج وينتدبون امرأة ليست مسلمة لتعليم هذا الفن مع ملاحظتها من رئيس المكتب أو مندوبه ، خشية أن تبث فيهن نفسا خبيثة أو خلقا قبيحا يخالف الفضائل الاسلامية والعوائد القومية »[٢] والإمام فى هذا يحافظ على الآداب كأشد مايكون حفظا لها وحفاظا عليها .

---

(١) الاسلام نسب ص ١٧٣

(٢) الإسلام نسب ص ١٧٦ .

أصول وآثار فى التربية العقلية عند الامام

لو عدنا قليلا إلى أدوار حياة الإمام الثلاثة لوجدناها مليئة بالأصول التربوية سواء بالتلقى أو بالإلقاء . وسواء كان بالدرس والشرح أو بالإملاء .. ففى الدور الأول : كان يكتب شروحا وأذواقا ومشاهد على بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ..

وفى الدور الثانى : ويبدأ من سنة ١٣١١ هـ أى وقت أن ذهب الى المنيا . وجدنا تلك الفترة خصيبة بالتراث من دروس تربوية ومواجيد قلبية ، واملاءات . وشروح وغير ذلك .. كثير .. ولنا أن نتصور مثلا ماجمع من القصائد فى عام واحد هو سنة ١٣٣٢ هـ يبلغ فى جملته ويقدر بخمس وعشرين ومائتين من القصائد هى التى وصلت إلينا بعد التراث التربوى بعد ذلك بالكثير ، بل وكثير الكثير ..

وفى الدور الثالث : ويبدأ من سنة ١٣٣٣ هـ ثلاثا وعشرين سنة حتى وقت وفاته ١٣٥٦ هـ لم نجد يوما على حسب نظامه اليومى خال من المواجيد فى الصباح والظهر ، والعصر ، وفى المساء وفى الخلوة بالإضافة الى ما أملاه من الكتب ، والشروح والدروس التى لم تستقصى حدا ولا عدا .

وما دمنا الآن بصدد التربية العقلية .. وقلنا إن العلوم هى نور العقل المفاض عليه من الشرع الشريف والذى به يستضىء بنور الفهم ويخرج من ظلمات الوهم فإن ما وضعه الإمام من مؤلفات علمية وأصول تربوية يفوق الحصر لكننا سنثبت من ذلك -- باعتبار تلك الكتب والإملاءات والشروح والمواجيد أصول تربوية فى مدرسته – بعضها حتى نكون بذلك قد استوفينا جانب التربية العقلية ..

ومن هذا التراث التربوى

١ – **أسرار القرآن** .. تفسير للقرآن الكريم يجمع مع القول المأثور . التفسير الإجتماعى والفقهى ، والأخلاق مع إبراز صورة التربية الإسلامية والمراد منها من خلال عرض الآيات الشريفة بأسلوب بسيط يصلح للعامة ، سهل ممتنع ، ومجموع من الحكمة والمعرفة لمن سلكوا السبيل ونالوا القصد فى المنزل .

٢ – **كتاب أصول الوصول لمعية الرسول**

٣ – **كتاب شراب الأرواح** وهو كتاب جامع لكل مايلزم المريد من علوم الدين عقيدة وعبادة ومعاملة ، وتفصيل علوم القلوب ومواجيد أهل اليقين » وكتاب شراب

الأرواح الجامع لمواضيع شتى فى الأخلاق والنفوس وعلوم التوحيد والسير والسلوك »(١)

٤ – معارج المقربين

٥ – كتاب مذكرة المرشدين والمسترشدين : قال الإمام عن غرض الكتاب الأول « هو تنبيه السالكين والمرشدين إلى ما به صفاء جوهر النفس حتى تفقه القلوب أسرار الشريعة ، ويظهر لها أن نيل الخير كله فى الدنيا والآخرة باتباع السنة ، وأن نوال السعادة الحقيقية فى الدنيا والآخرة بفهم روح الكتاب والسنة وتعليم العلوم النافعة التى بها يكون كل فرد من أفراد المسلمين قائما بما وجب عليه لنفسه وعشيرته الأقربين »(٢) .

ومذكرة المرشدين والمسترشدين يقول عنه : الحمد لله ، قد شرح الله صدرى لأن أكتب مذكرة ، أبين فيها ما لا بد منه لمريد طريق الله تعالى إجمالا ، والذكرى تنفع المؤمنين ملاحظا فى ذلك الوسط من كل شى ، وأقدم بعض حكم تنبه فكر المريد لقبول الذكرى » (٣) .

٦ – النـــور المبيـن :

وهو كتاب وضعه الإمام ليبين فيه الواجب للمسلم وعليه ، ولذلك قال عن غرضه من الكتاب « تحصيل العلم النافع تحصيلا يكسبنا الخشية من الله تعالى والعمل بشرائع الإسلام حتى تلين الأبدان والنفوس وتنجذب إلى السعادة الحقيقية فى الدنيا والآخرة (٤) .

٧ – الإسلام دين .

٨ – الإسلام نسب .

٩ – الإسلام وطن .

وهى كتب ثلاثة منفصلة وضعها الإمام رضى الله عنه لبيان ما على المسلم لمجتمعه والعكس ولذلك قال : « ولما كان أهم ما نسيناه نحن المسلمين الوطن والنسب والعبادة

---

(١) مقدمة أسرار القرآن (ز) الطبعة الثانية سنة ١٤٠١هـ .

(٢) معارج المقربين ص ٨ . (٣) النور المبين ص ١٧ .

(٤) مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ٣ .

والأدب الإسلامى واعتصامنا بحبل الله ، والواجب على كل مسلم لكل مسلم وعلى كل مسلم للمجتمع الإسلامى ، وعلى المجتمع الإسلامى لكل مسلم وعلى كل مسلم للمجتمع الإنسانى : شرح الله صدرى لتفصيل تلك المجملات وتوضيح تلك المبهمات فكتبت فى كل أصل من هذه الأصول رسالته

الأولـى فـى الإسـلام ديـن

والثانيـة فى الإســلام وطـن

والثالثة فى الإسلام نسب (١)

ويقول من كتاب الإسلام دين الله « ولما كان الغرض من هذا المختصر بيان بعض جمال الإسلام وما يتكمل به المحافظ على حدود الله تعالى فى الدنيا ، وما يفوز به من النعيم الأبدى فى الآخرة »

١٠ - الفرقة الناجية :

وهى الفرقة التى قال عنها النبى ﷺ أنها فى الجنة وهى الناجية وعداها فى النار ثم وصفها الامام وصفا دقيقا مبينا مقاماتها ودرجاتها ولذلك قال : دعانى واجب وقتى أن أكتب رسالة أسميها (الفرقة الناجية) أجمع فيها ماكان عليه السلف الصالح فى تلاوة القرآن المجيد وفى عبادة الله تعالى ، وفى المعاملة ، وفى الاخلاق ولاأخليها من الإشارة الى ماكانوا عليه من أعمال القلوب وقد كتب فيها تفسيرا مسهبا لآية من كتاب الله جامعة للمقامات ى ينالها المؤمن »(٢) وتلك الاية هى (التائبون العٰبدون الحامدون السائحون الراكعون ..)(٣) والكتاب جزءان طبع الجزء الاول منه ولا يزال الثانى مخطوطا .

١١ - وسائل اظهار الحق :

بين الامام سبب وضعه هذا الكتاب فقال « وكان يتردد علىَّ كثير من علماء الافرنج لزيارتى وأنا بمختلف بلاد العالم الاسلامى ، ويجتهدون فى أن يسألونى عن أشياء يجهلون حقائقها ولما كنت أكره الجدل ، أحببت أن أكتب هذه الرسالة وأسميها (وسائل اظهار الحق) تتمة لكتاب صديقى الشيخ رحمه الله الهندى ، ولكن القلم كان ينزع كثيرا إلى نفع المجتمع العام الاسلامى خاصه والانسانية عامة(٤) .

(١) الاسلام دين الله ص ١٩
(٢) التوبة : ١١٢
(٣) الفرقة الناجية ص ١٨ الطبعة الثانية
(٤) مقدمة وسائل اظهار الحق ص ٤

١٢ - محكمــة الصلح الكبرى

وهى كتاب تربوى يأخذ من النفس الانسانية جميع أطرافها ، فيضعهم موضع التضاد على مراتبهم فى الحقيقة . ويترك لكل من الأعضاء أن يدافع عن نفسه . ويعرض قضيته وحاجته أمام محكمة من النفس أيضا متخصصه .. وبعد أن تلوح الحجج ، ويقل الحجج ، تصطلح النفوس .

فرئيس المحكمة : العدل وأعضاؤها أربعة وهم القسط والعلم والهدى والتوفيق ، وكاتب الجلسة أمين ثم حاجب ورئيس شرطه وعدد من الحراس ، وجعل خصومها مدعيان وهما العقل والفكر ، ومدعى عليهما وهما النفس السبيعية والنفس البهيمية ، وخصوم متدخلون مع المدعين وهم الروية والعفة والشجاعة والكرم والعدالة والنور والعزة والرحمة والمنطق والخشية والحكمة وخصوم متدخلون مع المدعى عليهما وهم التهور والشهوة والجبن والبخل والقدر والحس والضيم والقسوة والجسم والتيه والحماقة :[1] .

وهو كتاب فى التربية غاية فى الإبداع وحين تعقد النفوس صلحا وتعقد بالصلح عزما على مواصلة الحياة فهو نوع فريد وقلائد منظومة من درر معقودةً يعجز البيان عن انزالها منزلتها .

١٣ - الطهــور المـدار علــى قلــوب الابـــرار

والكتاب إجابة عن أسئلة عن المجددين ومآخذهم وأساس التربية عند الإمام للطالبين ومجاهدتهم وسر احتياج المسلم الى هذه التربية وبيان عن المرشد والسلوك فى أربعين صفحة تقريبا ثم بعد ذلك دروس من الخلوة فى التوحيد والنفس والقدس والملك والملكوت وآدم وجنته والأمانة التى حملها الإنسان وهى دروس غالية ، وحكم عاليه .

١٤ - تفصيل النشأة الثانية :

وضعه الإمام إجابة على سؤال من أحد أبنائه هو محمود باشا سليمان وفى ذلك يقول الامام (طلب منى أخى وحبيبى العامل المخلص لديه ووطنه ، سعادة محمود باشا

---

(١) انظر محكمة الصلح الكبرى ص ١٥ الطبعة الثانية .

سليمان أطال الله عمره ونفع به أن أشرح له أحوال البرزخ ,ومابعده ليتمثله فى كل أنفاسه لان الايمان به المجرد عن العلم بأحواله الخاصة ، لايكفى فى مراقبة ذلك واليوم وأهواله وشدائده ... لتلك الإعتبارات لبيت دعوة صديقى وحبيبى ورأيت من الواجب على أن أجعل الجواب رسالة جامعة لتلك الحقائق وأن أتمم هذا المقصد العظيم ببيان الطريق الموصلة لنيل الخير يوم القيامة .. »[1]

١٥ – عقيدة النجاة :

كتاب يشرح العقيدة كما جاءت عن السلف الصالح يقول الامام : سألنى بعض أهل العلم والطريق عن عقيدة النجاة فأجبتهم بتلك الرسالة التى تحتوي على مقدمة وبضعة فصول وخاتمة .[2] .

١٦ – الشفاء من مرض التفرقة

وهو إجابة على سؤال يطلب العلاج من التفرقة والشفاء من هذا الداء العضال وهو تربية للعلماء والدعاه .

١٧ – دستور آداب السلوك الى ملك الملوك .

وهو شرح لبيان مالا بد للمريد منه فهو قاعدة فى التربية والآداب وفصول فى التوحيد ودروس تلقيه وأنواع هذا التوحيد .

١٨ – دستور السالكين طريق رب العالمين :

وهذا الكتاب يحمل رسالة الآداب التى يجب أن يتحلى بها السالك فى طريق الله من المراقبة وتقى الخواطر المذمومة عن نفسه وعدم مساكنة الأفكار الشاغلة حتى يعبد الله بقلب سليم »[3] .

١٩ – بشائر الاخيار فى مولد المختار :

وهو قصة وسيرة وتاريخ للنبى ﷺ فى نسبه وحمله ورضاعه ونبوته ونعمته للدنيا ورحمته للعالمين ، وفيه كشف البراقع عن جمال الغيب المصون ، وإماطة اللثام عن

---

(١) تفصيل النشأة الثانية ص ٥ الطبعة الثانية

(٢) عقيدة النجاة ص ٧ الطبعة الثانية .

(٣) مقدمة دستور السالكين ص ٤ الطبعة الثانية .

غوامض الأسرار فى بعض مقامات النبى ﷺ وهو فى ذاته نفى للبدع وازالة للتخريف ، وبعد عن الريب .. فى جمال بديع .

٢٠ - السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

وفيه شرح وتفصيل جميل العبارة على الإشارة فى مقام الإسراء والمعراج وما يتعلق به من أحكام وماينتج من أسرار ، وما يبدأ من رحيق مختوم فى جمال الرحلة وقصة الذكرى .

٢١ - صيام أهل المدينة المنورة :

وفيه قبس مضمون ، ودر مصون فى معنى الصيام ورتب الصائمين وشرح لآياته وكشف لبيناته وأحكام الصوم ومراتبه من صوم العارفين وصوم المقربين وصوم المحبوبين وصوم الصوفية وفرائض الصوم وأحكامه وبيان ليلة القدر وزكاة الفطر وصلاة العيدين ... ومشاهد فى الصوم والصائمين ومواجيد للطالبين والسالكين .

٢٢ - تفسير سورة القدر :

وهى رسالة صغيرة كشف فيها الإمام أسرار ليلة القدر وتنزل الملائكة والألف شهر وهل هى زمانيه محدده ؟[١] .

٢٣ - هداية السالك الى علم المناسك :

وضعه الإمام بمناسبة سفره للحج وبصحبته بعض الإخوان يقول فيه الإمام « ولما أن يسر الله هذا المقصد العظيم شرح صدور كثير من أحبابى فقراء آل العزائم بالصحبة فى السفر طمعا فى الفوز بقبول الله والإقبال منه سبحانه وتعالى علينا ، بمناسبة أن الحج بالجمعة فأحببت أن أكتب رسالة فى المناسك مبينا فيها آداب السفر من خروج الحاج من بيته الى أن يصل الى مكة المشرفة وأركان الحج وفضائله ، مشيرا الى حكم تلك الأركان والفرائض ملما الى حج الروح بعد بيان حج الجسم ليكون لنا بذلك حظ أوفر وقسط أعظم .[٢] .

٢٤ - رسائل الفتوى العزمية فى بيان الوسيلة وما اختلف فيه من السنه والبدعة :

وهى جواب عن سؤال عن حكم التوسل بالنبى ﷺ شرعا وعقلا وبيان السنة ،

(١) الامام أبو العزائم حياته وجهاده وآثاره ص ٥٦

(٢) مقدمة هداية السالك ص ١١ طبعة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية القاهرة .

وقصيدة طويلة فى التوسل وحكم الصلاة على النبى بعد الاذان وصلاة الترويح وقراءة سورة الكهف يوم الجمعة ، والحكم على أهل البدع وبيان الكبائر المتعلقة بالبدن يقول الامام :

« سألنى كثير من أهل العلم والتقوى من بلدان شتى يستفتوننى عن مسائل دينية مختلفة وسدا لابواب الفتن توجهت الى الله تعالى متوسلا اليه بذلى وانكسارى أساله سبحانه أن يمدنى بروح منه وأن يلهمنى الصواب فى بيان مااختلف فيه اخوانى انه مجيب الدعاء »[١]

٢٥ – الجهـــــاد :

وهى مقالات كان يكتبها الامام فى مجلة المدينة المنورة جمعت ثم طبعت بعد انتقاله .

٢٦ – من جوامع الكلم :

وهى حكم للامام مما كان يمليه على ابنائه جمع بعضها ثم طبع فى كتاب بهذا الاسم .

٢٧ – الطريق الى الله :

وهى مقالات للامام فى مجلة المدينة المنورة جمعت ثم طبعت فى كتاب باسمه .

٢٨ – حديث الجمعة :

وهى دروس كان يلقيها الإمام عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع حيث كان الامام يستمع الى المقرىء قبل الصلاة ويشرح معانى افتتاح التلاوة وهذه المقالات تبدأ من عام ١٣٤٠ الهجرى الى عام ١٣٤٦[٢] وقد ظهر أخيرا كتاب يحمل هذا الاسم [٣]

٢٩ – منازل السالكين :

وهو اسم لكتاب تحت الطبع[٤]

٣٠ – الفتوى الشرعية في بيع أرض فلسطين لليهود ،

ونجده أيضا ضمن قائمة المطبوعات من مؤلفات الامام[٥]

---

(١) القتوى العزمية ص ٢ الطبعه الاولى صبح ليلة القدر سنة ١٣٥٢هـ .

(٢) الامام أبو العزائم حياته وجهاده ، وأثاره ص ٤٤

(٣) حديث الجمعه للامام أبى العزائم فى دار المدينة المنورة .

(٤ ، ٥) كانت هناك قائمة بالكتب تطبع على غلاف الكتب المطبوعه للامام وهذان الكتابان وجدا على غلاف الفتوى العزمية ..

٣١ – ونجد كتبا أخرى ضمن قائمة مطبوعات دار المدينة المنورة

وهى المرأة والاسلام والرد على نظرية داروين ، وجملة مسرحيات على غرار محكمة الصالح الكبرى كانت تنشر فى مجلة المدنية المنورة .

٣٢ – الجفر :

وهو كتاب يجمع خمس عشرة قصيدة فى علم الجفر ، وفيها بيان لاجتماع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم فى مواجيد وقصائد .

٣٣ – الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية : –

والكتاب مجموعة من الأدعية والتوسلات لطلب العون من الله تعالى وصيغ من الصلوات على سيدنا رسول الله ﷺ وهى أحزاب وفتوحات حسب أيام الاسبوع .

٣٤ – نيل الخيرات بملازمة الصلوات :

جملة أوراد الليل والنهار وختم الصلاة ، والصلاة على رسول الله ﷺ .

٣٥ – الادعية والإستغاثات الكبرى :

٣٦ – مشارق البيان فى فضائل نصف شعبان :

ثانيا : المخطـــوطات

حفظ لنا من التراث الكثير فطبع بعضه اثناء حياة الامام وبعضه بعد انتقاله وهناك الى الآن بعضا لايزال مخطوطا نذكر منه على سبيل المثال :

١ – المضنون والمكنون :

هو كتاب فيه أسرار العلوم ، وغوامض الفهوم من الحكم العالية ، والأسرار الغالية أشار اليه الإمام فى مؤلفاته فقال « ولقد أشرت الى هذه الأذواق وتلك العلوم فى المضنون وفى المكنون .[١] .

٢ – موارد أهل الصفا :

وفيه يرد الامام على رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا مبينا حقيقة الصفاء ومورد أهل الصفا وهو الرحيق المختوم من القرآن الكريم .[٢] .

٣ – سيرة النبى ﷺ :

---

(١) ، (٢) الامام أبو العزائم حياته وجهاده وأثاره ص ٤١ ومابعدها .

وتقع هذه السيرة فى ألفى وخمسمائه صفحة من حجم الفلوسكاب وفيها يقول الإمام عن النبى ﷺ : « انه يتجمل بأكمل الأوصاف التى يحبها الله تعالى من عباده وأجمل الأعمال التى يريدها الله من أحبابه ، وأتم الأخلاق التى هى أخلاق الله عز وجل . نطق على لسانه ﷺ بكلامه القديم وهدانا للايمان والتوحيد ، فهو الحجة البالغة والاية الظاهرة به يهتدى المهتدون وباتباعه يتقرب المتقربون فمن رغب عن سنته ولو عمل بكل الكتاب فهو هالك ، ومن أقام سنته واهتدى بهديه وبايعه نجا وحظى بحظوة التشهود ... »(1)

٤ – تفسير القرآن الكريم :

فبعض التفسير قد طبع
ومنه مازال مخطوطا

٥ – الجزء الثانى من الفرقة الناجية :

نجد فى ختام الجزء الاول « تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه الجزء الأول من كتاب الفرقة ويليه الجزء الثانى وأوله « بينت لك ماتحمله أصحاب رسول الله ﷺ الخ .. والله الموفق »(2)

وهناك غير ذلك كثير . مما نراه . يفى بالأصول التربوية ، وعلى وجه الخصوص بالتربية العقلية ..

---

(١) السابق ص ٤١

(٢) الفرقة الناجية الطبعة الاولى ص ٩٦

الفصـــــل الثـالــث
التربيـــة الأخلاقيـــة

رأينا فيما سبق عند اعتدال النفس فى قواها انها جاءت بالفضائل الخلقية والتى يقول عنها علماء الأخلاق بأنها أمهات الفضائل ..

فاعتدال النفس الناطقة أو العقلية تأتى عنها فضيلة الحكمة ..

واعتدال القوة البهيمية أو الشهوانية تأتى بفضيلة العفة ..

واعتدال قوة الغضب فى النفس ينبع عن فضيلة الشجاعة ..

واعتدال تلك الثلاثة يأتى بفضيلة العدل .. فتكون تلك الأربع هى أمهات الفضائل .. (الحكمة والعفة والشجاعة والعدل) ومنها تأتى بقية الفضائل الأخلاقية ..

والإنسان لايكون متخلقا بالخلق الفاضل إلا إذا ظهر خلقه فى بيئة صالحة يرى فيه أثر ذلك الخلق أى يظهر أثر الخلق على الناس من صاحبه فكمون الخلق فى النفس لايعد خلقا .. وهذا مذهب الامام فيه ورأية فيقول :

« ولاتكون تلك الفضائل فضائل حقيقية إلا إذا ظهرت لوازمها من غير الشخص المتجمل بها ، فإن العلم لايكون فضيلة للشخص إلا إذا نفع غيره ، والشجاعة لاتكون كذلك إلا إذا نفعت الغير بالذود عن الدين وعن الضعفاء وعن الاعراض وإقامة الحدود . والسخاء لايكون فضيلة إلا إذا بذل المال فى وجوهه الشرعية وأعان به العلماء العاملين : الأتقاء الصالحين بوجه الله العظيم »[1] .

ومن هذا فقد وضع الإمام إطارا للخلق الفاضل يظهر أثره فى الغير ، ولما كان الإنسان فى تربيته ملازما للقدوة متربيا على يديه كان لزاما أن يظهر الخلق أول مايظهر مع الأستاذ والقدوة والمرشد ..

---

(١) معارج المقربين ص ٦٨ .

ثم هناك للطالب اخوان يصحبوه فى التربية ويسيرون معه فى نفس الإتجاه . فكان تبعا لذلك عليه أن يتخلق فيهم بالأخلاق الفاضلة ..

وقد وضع الإمام تلك التربية الأخلاقية سواء فى صحبة الأستاذ أو الإخوان آدابا يسير عليها المتعلم حتى ترسخ فيه فتصدر عنه بعد ذلك بغير فكر ورويه . أى تصبح له خلقا يعتاده وهيئة تلازمة ..

أولا : الآداب الأخلاقية فى صحبة القدوة (المرشد)

نعلم أنه لايقوم بالتربية إلا عارف بها حاذق فيها عالم بأمراض النفوس وطرق علاجها .. ولما كان المريض لايخلو من ملاحظة ومراقبة سهرا على صحته ، وطلبا لسلامته فقد قام النائب مقامه ... ولما كان هذا البذل من المرشد للطالب والسالك من غير عله أو غرض إلا وجه الله تعالى فقد وجب على المريد حسن الصحبة للمرشد ، واحسان العشرة معه ، والتأدب معه بآدب الصحابة مع رسول الله ﷺ وهذا ماوضحه الامام فيها ولما كانت تلك الآداب أخلاقا نافعة تجلت فيها المدرسة وظهرت بسمتها وصورتها آثرت كل الآداب من غير نقص وان كان فى ذلك بعض الإطناب الا أنه لتمام الفائدة فى الاعداد .

الأمر الأول :

« المحافظة على تحصيل علومهم ، وفهمها فهما حقيقيا يطمئن به القلب والسؤال منه عن كل ماوقف عن ادراكه الفكر أو قصر عن فهمه العقل ، ليبينوه بمثل تقربه وكشف مالا يستبين للعقل بحجة تقرره أو برهان يؤيده ، ولزم فى هذا القسم الأول أن يقيد مايتلقاه فى بطون الدفاتر : خشية ضياعة أو نسيانه .» .

الأمر الثانى :

« .. التشبه بالعلماء الهداه المخلصين لربهم فى أساليب عباراتهم وطرق تعليمهم وفنون استدلالهم ، وجميل أخلاقهم ، ولطيف سمتهم وظريف هديهم : حتى يكونوا نسخة كاملة طبق الأصل ، ولايصل الى هذا المقام العلى الا اذا كان العلم مطلوبا لذاته ، مرغوبا فيه للوصول الى الحق سبحانه ، وللعمل بما يرضيه جلت قدرته وللمعاملة التى يحبها « تنزهت ذاته » لأن من تحقق بتلك الحقيقة تلقى العلم الحقيقى من العالم بالقول والعمل والحال . فان العالم الربانى الوارث لرسول الله ﷺ ، قوله علم ، وعمله من عبادات ومعاملات ، وحقوق لذاته علم : وأحواله من بسط وقبض وأنس ووحشة وتواضع وعزة فى النفس وغير ذلك علم » .-

الأمـــر الثالث :

« .. العمل بما علمه من غير تأن » ولو كان فى العمل عناء لنفسه أو ضياع لجاهه وماله ، أو فقد لعضو من أعضائه اذا اقتضى ذلك العلم ، بذلك يعلمه الله العلم اللدنى الذى لايمكنه أن يتعلمه من غير الله تعالى ، وليحذر أن يميل عن العمل بالعزائم فى خاصة

نفسه ، ويعمل بالرخص والتأويلات التى تحتملها بعض ألفاظ الأحكام الشرعية ، فان فهم الرخص ، وفهم التأويل ، وان كان علما الا أنه جهل اذا تعلم الرجل العلم ليتبع الرخص ، ويعمل بالتأويلات الملائمة لحظه وشهوته وهواه ، ومن قدم حظ نفسه على حظ ربه ، لم يخش ربه ، ومن لم يخش ربه فليس بعالم قال الله تعالى (إنما يخش الله من عباده العلماء) فان قال انى عالم نقول له : عالم بالحيل وفتح أبواب الذرائع .» .

الأمر الرابـــع :

« .. اذا كنت أيها الأخ البار اتبعت العالم الربانى : فاصبر ياأخى على جفوته وإن جفا ، فان للعلماء دالة على الطالبين ، وامتحانا لاخلاقهم واختبارا يكشفون به ماطوى عنهم من فطرهم ، واعتبر يأأخى من التماس سيدنا ومولانا موسى بن عمران عليه السلام من العالم بقوله : (هل اتبعك) ففى لفظة (هل) الإستفهامية دليل على أنه لايكلفه ولكن يلتمس منه ، وفى قوله (اتبعك) مافيها من التملق للعالم تشعر بأنه جاء منتدبا متعلما خاضعا (على أن تعلمن مما علمت رشدا) انظر ايها الأخ ـ الى مقام كليم الله ومنزلة ذى العزم كيف تواضع للعلم ، وذل له وهاجر اليه ، فاذا كانت هذه حالة كليم الله ﷺ فى طلب العلم والسعى للعالم فكيف بك أيها الأخ ؟ فاعتبر بقول العالم له (انك لن تستطيع معى صبرا) وفى هذه العبارة من الدلال ونظر المتعلم بنظر المتبع الصغير ذلك وتفكر فى تعليل ذلك بقوله : (وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً) ، لأن العالم الربانى ، والعارف الروحانى يعمل أعمالا عن سر القدرة ، وعجيب الحكمة ينكرها العابد ، فكيف بالنبى ؟ وقد علم العالم أن الذى يكلمه من أولى العزم وأنه سيدنا موسى بن عمران ، وتحقق أن الأعمال التى يعملها منكرة عند العباد فضلا عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتأمل فى اجابة سيدنا موسى ـ عليه السلام (ستجدنى ان شاء الله صابرا ولاأعصى لك أمرا) فكأنه أقره على أنه يمكنه أن يشهد الأعمال التى ينكرها ويصبر عليها وأن يطيعه اذا امره بأمر لايظهر له وجه الحكمة فيه .

هذا هو أدب الله تعالى الذى أدب به رسله ، صلوات الله وسلامه عليهم فتأدب أيها الأخ الطالب بهذا الأدب مع العالم الربانى والعارف الروحانى والراسخ فى علم المتمكنين .. » .

ومن الآداب أيضاً « ايها المريد المخلص سارع فى مرضاة العالم وكن حكيما لاتبح لغير نفسك أسراره ، ولاتظهر لغير عقلك كمالاته ، فانك إن فعلت غير ذلك كنت مدعيا حبه ، وساعيا فى ضرره ، وربما ظهر له فنفر منك نفرة صرت بها محروما أو سقطت من

قلبه سقوطا تصير به مبعدا ، لأنك اذا بحت بأسراره لغيرك وأسرار الرجال ماكير عند غيرهم ، ومقامات الرجال مستحيلة عند من لم يؤهلهم الله تعالى لهذا العلم فان كنت تعلمت العلم لتنال السعادة فاشكر الله على ماكشف لك من أسرار العالم ، وعلى ما منحك من التسليم له والتصديق به ، وما فهمك من مرموزات اشاراته ، وحقيقة عباراته ، وابخل بها على غير نفسك ، غيرة على الحكمة أن يعلمها غير أهلها ، فاذا خالفت هذا وفتحت على الأستاذ باب الإنكار عليه ونبهت السنة السوء إليه بما بحت به من علومه ، وما أظهرته من أسراره ، فانت صديق جاهل والعدو العاقل خير من الصديق الجاهل .

ومن أكمل آداب المتعلمين للعلماء : أن يجعل نفسه خادما للعالم وأن يرى أن كل ماله وما مّن الله به عليه من العلم والجاه والمال والأولاد والإ خوان تحت تصرف العالم واشارته : متحققا بذلك معتقدا ان ذلك نجاة له وسعادة فى الآخرة ويجعل خير كل شيء مبذول للعالم ، بحيث يكون مشتغلا فى سره وعلنه باتباع العالم ، والإقتداء به متباعدا عن مخالفته محافظا على اكرامه وكرامته واذا رأى من نفسه عير ذلك : اتهمها وخشى أن توقعه فى الحجاب والغرور أو الغفلة ــ نعوذ بالله من ذلك ــ وليعمل كل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى ورغبة فى نوال فضله ورضوانه .

ومنها أيضا قوله : « بعض المريدين يجهلون قدر الرجل فيتبعونه لحظ عاجل من حظوظ الدنيا أو يجعلونه وسيلة ليوهموا الناس ، وينالوا أغراضهم أو للشهرة والسمعة ، أو لمداراة الناس ، ومن هؤلاء تحصل المضار للرجل وللمخلصين من أصحابه ، وهؤلاء أقرب الى أهل النفاق منهم الى أهل الايمان ، وقد ينتفع بعضهم فيتوب ويخلص ومثل هؤلاء لايخفون على العالم ، لأنه يعلمهم بسيماهم ، ولكنه مأمور أن يأخذ بالظاهر ويترك السرائر لله تعالى ، ولكنهم يخفون على غير العارفين من المرشدين وانما التحفظ منهم يكون بالتنبيه على الخلق لأن الذى يتساهل بالواجبات الشرعية وبآداب الطريق الأولى هجره وطرده خوفا من شره على الإخوان » ومنها أيضاً :

« أن بعض المريدين يعتقد فى العالم عقيدة لاينبغى أن يعتقدها مريد سالك وذلك بما يسمعونه من اشاراته القدسية وتلويحاته الروحانية وكشفه لمرموزات مثل القرآن الشريف فيعتقد المريد لقصر عقله أن تلك الإشارات والمرموزات خاصة بالعالم ولكنى أبين له أن كل مريد صادق : مستعد ومؤهل أن يرقى الى أن يصير مجملا بأخلاق الله روحانيا

كاملا تسلم عليه الملائكة فى الطرقات ، وتنزل عليه البشائر والتحيات ، كل ذلك بصحبة العالم ، والإقتداء به والسعى فى تلقى علومه وأسراره .

وأما من يعتقد أن العالم هو المتجمل بتلك المعانى المخصوص بتلك الإشارات دون غيره فتلك العقيدة توقف المريد عن أن يقتدى بالعالم ، أو يعمل بعمله وتوقفه عن أن تعلو همته ليترك الدنيا الغارة وراء ظهره ، التى هى الحرص والتلذذ بالشهوات الحيوانية والأمل المضر ، ويقوم عاملا لله نافعا نفعا عاما بقدر استطاعته مجملا نفسه بجماله الروحانى ، ومجملا جسمه بجماله الشرعى ، وبذلك يرث أحوال العالم ، ويشهد مشاهده ، قال ﷺ « من أحب قوما حشر معهم » ... لم أقل لك أيها المريد : إنك تصل الى مقامات الرشد لتساويه فى شهرة وتعظيم ومشابهة فى مأكل ومشرب ، وملبس وعزة فى النفس ، واقبال وجوه الخلق عليه « لا » ولكنى أريد أن تساوية فى معرفته لنفسه ، وعلمه بحقيقته ، وتخلقه بأخلاق ربه ومشاهده القدسية ومواجيدة العلية ، وفنائه عن نفسه ، واحتقاره للدنيا ، ورغبته فى الآخرة لا لملاذها الحسية بل لانوارها وأسرارها وبهجتها الدائمة القدسية »[1] .

---

(١) مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ٢٣٣ - ٢٤٥ باختصار .

ثانيـــا : الأخــوة فى الله وآدابها

معنى الأخ فى الله تعالى :

الأخ فى الله تعالى هو الصاحب فى السفر الى الله تعالى والمذكر فى الحضر .. ولذلك أولى الإمام الأخوة كل عناية واشترط لها كل رعاية فجعل للأخ شرطا وصفة وحقا وتعريفا فيقول عن الأخ فى الله .

« هو أنت إلا أنه شخص آخر لأنه يقصد ماتقصد ، ويتمنى ماتتمنى ويعتقد ماتعتقد ويعمل بعملك ويقتدى بقولك وعملك وحالك ، ذاق ذوقك . وفهم عبارتك ، وأدرك اشارتك ، يسعى فيما يرضيك ويحب من تحب ، يصادق صديقك ، ويعادى عدوك ، يحفظك غائبا ويسرك حاضرا يذكرك ان غفلت ويعينك ان ذكرت ، يسارع فى مراضيك عندما ترضى الله ، ويتوقف عن العمل ان جهل حكم عملك ، حتى يتبين له بدون جدل ولاانتقاد ولا اعتراض تجمل بكل خصالك واتصف بجميع صفاتك ، ودك بأكمل مايود به نفسه ، وتحمل الشدائد فى جمع الكلمة يجاهد نفسه ليتجمل بمكارم الأخلاق . يصل رحمك ويكرم أقاربك ويعطف على اولادك .. هذا هو الأخ ولو كان بعيد النسب عنك الأخ هو أنت خلقا واعتقادا ومقصداً وعملا وحالا . الأخ من بذل نفسه قبل نفسك ، وماله قبل مالك ، وقدم أصدقاءك وأهلك وأولادك على خاصته وأهله وأولاده . ليس الأخ بنسب الابوين انما الأخ من ناسبك فى خصوصياتك ، وتشبه بك فى جميع احوالك . قرب منك بما جملك الله به . فصار قريبك وانتسب اليك بما تقربت به الى الله تعالى فصار من نسبك ، الأخ من لاتتكلف له ولا تخشى الشر منه ، استوى عندك السر والعلن معه ، وأنت عظيم فى عينه وقلبه فى كل أحوالك ، من يسر وعسر وبعد وقرب ، ان شددت يسر وان يسرت هابك ، سروره أن تكون مسرورا ، هذا هو الأخ (وقليل ما هم) فهذا الأخ هو الوارث للأحوال والعلوم والأسرار فاذا كان من أهل نسبك كان ذلك أجمل وأكمل وذلك هو الفوز العظيم ، وانما هى مشابهة توجب القرب بعد الحب ، فالرقى الى المقام بعد الحال ، فالوصول فالكمال .

أسأل الله أن يجمعنا بأخلاقه وأن يمنحنا عنايته وأن يواجهنا بوجهه الجميل انه مجيب الدعاء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »[١] .

وليس معنى أن ينزل الأخ اخاه منزلة نفسه أن يكون كبير الاخوان فى الصحبة

(١) دستور السالكين ص ٦٩

كصغيرهم أو يكون الصغير مرفوعا فوق كبيرهم بل لكل أخ فى الأخوة رتبته ودرجته التى بها يحفظ قدره فى نظر المؤاخين له ، ولهذا وضع الإمام صونا للإخوة وحفظا للمودة فيهم ، مراتب للاخوان حسب سبقهم وايمانهم وصدقهم فى سيرهم وصحبتهم وليس ذلك بغريب عن الشرع الشريف فالله قد كرم المتقين .

مراتب الإخوان :

« من سبقك ولو بيوم فى صحبة الشيخ فله عليك فضل السابقين ثم تصلهم بقدر مجاهداتهم وبذلهم ، وموالتهم ، وكال اتباعهم وحسن أخلاقهم وصدق تسليمهم فقد يفضل الواحد على الألف لما اختص به من الفضائل والكمالات ، وهذا الفضل يجب على الاخوان أن يتناسوه فيما بينهم ، بمعنى أن الأخ الفاضل الذى ميزه الله بأكبر خصال الخير لايشهد لنفسه فضلا على اخوانه ، انما ذلك أمر يشهد به الاخوان له فلا يغتربه ، بل يزداد فى تواضعه ، وفى رغبته ، وفى اقباله ، وفى مجاهدته فان الكمالات الالهية لانهاية لها ، والمواهب الربانية لاحصر لها فمن وقف عند حد منها رضى لنفسه بالنقص مع تيسير الكمال له .

وعلى الاخوان أن يعتقدوا الاحسان فى غيرهم ، والتفضل فى أنفسهم أن يغضوا عيون البحث عن عيوب بعضهم ، ويصموا آذان التنقيب عن نقائص بعضهم ، فان المريد ليس معصوما ولا رسولا ولا ملكا نورانيا مجردا عن لوازم البشرية ، وعلى كل أخ أن يشتغل بتطهير نفسه وتزكيتها عن عيوبها ، وأن ينظر لنفسه بالانتقاد أو البحث عن دسائسها ومساوئها ، وينظر لكمالات اخوانه ليتكمل بها وينظر محاسنهم ليتجمل بها وهذا سبيل السلف الصالح من أهل الحب والصدق والاخلاص »[1] .

الآداب الأخلاقية فى الأخوة :

ولما كانت مراتب الاخوان محفوظة فيما بينهم فيما بينه الامام فيما سبق الا انه ذكر لهم جملة من الآداب العمومية التى هى ميزان حياتهم وصراط سعيهم المستقيم حتى تشعر الجماعة بأنها فى سعيها مرتبطة بعاصم يعصمها عن الزلل ، ورابط يجمعها من الخلل فلا يقربها شيطان ولا يدخلها أهل الغفلة والضلال وهى آداب كثيرة عاصمة للأخوة وحافظة لها منها .

---

(١) شراب الارواح ص ٦٧

أولاً : « الاخوان كثيرون الا أنهم جسد واحد كل واحد منهم عضو لهذا الجسد وروح سارية فى كل عضو من أعضاء الجسد . وكل عضو متصل بالجسد فعله لنفع الجسد كله فاذا انفصل من الجسد لاينفع الجسد ولا ينتفع وكذلك الاخوان فما دام الأخ يسعى فى نفع جميع الإخوان فهو متصل بالله تعالى ورسوله ﷺ فاذا سعى فى منفعة نفسه : دل ذلك على أنه قطع وبُعد .

وإلا فمتى رأيت اليد تأخذ الطعام فتنتفع به دون الفم ؟ ومتى رأيت الفم ينتفع بالطعام بدون أن يدخله الى المعدة ؟ ومتى رأيت المعدة تنتفع بالطعام من غير أن تهضم ويصير دما ويسرى لجميع الجسم وتنتفع به الجملة ؟

فالأخ فى الله يخدم لينفع اخوانه وينتفع بمنفعتهم ومن أحب نفسه فليس منهم .

ثانياً : اذا عاتب أخ أخاه أو خاصم ، وكان لأحدهما أقارب أو أصدقاء من الاخوان أو كان بين أحدهما أو بين بعض الاخوان شيء فى النفس فالواجب فى الاخوان أن يجعلوا الحق أكبر من أن يميلوا الى القرابة ، وعلى من فى نفوسهم شيء ، أن يروا الحق أجل وأعظم من أن يخالفوه لحظ نفسانى ، ويكونوا مع الحق ولو على أنفسهم سعيا وراء الاصلاح والصلح ، حتى تسلم صدور الاخوان لبعضهم وتصفوا قلوبهم من الأحقاد والضغائن والمؤمن ليس حقودا ولا حسودا ولايقابل السيئة بالسيئة .

والأجمل بالاخوان أن يجتهدوا فى الاصلاح بينهما ومحو سبب الخصومة والله الموفق » .

ثالثاً : إذا رأيت من الأخ هفوة أو زلة ، فلا تفشها لأحد ولكن اجتهد فى تقبيحها أمامه بالحكمة حتى يتحقق قبحها ويتوب ، واحذر أن تشيعها عنه فربما سمعها منك جاهل بالنصيحة فبلغها له ، أو زجره عنها بحالة تنفره فتقطعة عن الله وتكون سبب ذلك .

رابعا : اذا جاهر أحد الاخوان بما يخالف الشرع ، أو ما يخالف المرشد فالواجب على جميع الاخوان أن ينصحوه ، فان قبل فبها ، وإلا هجروه ، فان تاب فبها ، والا قطعوه من نسب الأخوة ، وأعلنوا ذلك لجميع الاخوان حتى يشاع عند الناس جميعا ، فلا تنسب عيوبه للاخوان ، ولا شك أن التساهل بالمخالف المجاهر من أكبر المصائب على الطريق وأهله .

نعوذ بالله من حال قوم يضيع الحق بينهم فلا يجد له نصيرا .

خامساً : « من أكمل صفات الاخوان أن يؤثر كل منهم أخاه على نفسه ، ولو فيما هو محتاج اليه كما قال الله تعالى :

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » (الحشر : ٩)

والمتحقق بهذه الصفة كيف يرى نفسه أحق بحاجة أخيه من أخيه ؟؟ اللهم الا اذا بذلها وتحقق سروره فى قبولها منه ومن خصالهم أن يحب الأخ أن يطعم أخاة من خير طعامه ، فيرسله له أو يدعوه اليه ، والأولى أن يختار كل أخ أخا له يشاركه ويجانسه ، يأنس به ويجعله كنفسه ، يعرض عليه أحواله ، ويستشيره فى جميع أحواله ، يعينه اذا ذكر ويذكره إذا نسى ومثل هذا الأخ اذا وجد كان من اكمل النعم على المريد » .

سادسا : « لما كان الحب انما هو فى الله ــ لمعان يحبها الله تعالى ويحبها رسوله ويحبها الاخوان والمؤمنون ــ وأهم هذه المعانى ــ أن يكون الأخ يعتقد عقيدة اخوانه المؤمنين ويرى رأيهم ويعمل أعمالهم بحيث لا يخالفهم فى معروف من الدين ثم يكون ميزانه فى الحب بقدر أخلاقه وايثاره اخوانه على نفسه بأن يرى أنه أقل منهم ، اذا تحققت تلك الصفات فى الأخ ، وجب حبه واحترامه وتعظيمه ، ووجب تقديمه ، على الوالد والوالده والزوجة والأبناء ، لأنه يعينك على السعادة الأبدية حتى ولو كان فقيرا لا يملك قوت يومه ، ولا يزيد حبه عندك اذا أصبح كنزا من كنوز الله فبذل لك جميع ماله لأن بذل المال أقل من بذل النفس واياك أن تحب أخاك لأنه ذو مال أو جاه ، واياك أن تقدمه لذلك وتحترمه ، فان ذلك يقدح فى الحب فى الله ، ولكنى استحسن لك أن تنزل أخاك الفقير المتصف بالمعانى المتقدمة من قلبك ، ارفع مراتب المحبة والتعظيم وتجعله خيرا من نفسك عندك ، متى كملت فيك تلك المعانى ، ويجب أن تدارى من لم تكمل فيهم هذه المعانى من اخوانك من أهل المال والجاه ، تأليفا لهم وتبغى أن تحفظ قلبك من أن تحتقر أخاك الفقير المتجمل بتلك المعانى أو تصغره فى قلبك وتعظم ذا المال والحياة لجاهه وماله . فان ذلك كالشرك فى طريقنا قال الله تعالى (ويحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وقال الله تعالى فى وصف أهل الطريق الذين منحوا حقيقة المعيشة المحمدية (رحماء بينهم)

وقال ﷺ (ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[١] .

---

(١) هذا الحديث أحرجه مسلم وابن حنبل عن النعمان بن بشير بلفظ « مثل المؤمنين ... » الجامع الصغير جـ ٢ ص ٤٥٩ .

وقال ﷺ « المؤمنين كرجل واحد : ان اشتكى عينة اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله »[1] وعن النبى ﷺ أنه قال (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ثم شبك بين أصابعه)[2] .

وان الاخوان انما اجتمعوا ليتعاونوا على البر والتقوى وليسارعوا الى مغفرة من ربهم ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، وكان خيرهم محصورا فى مزيد اليقين والعلم والحب لله والبذل فى الله والزيارة فى الله وكانت تلك المعانى لاتتحقق الا فى الضعفاء المساكين الفقراء حتى كأن الفقراء مع الاخوان مفاتيح الخير لهم وأبواب السعادة فبهم تكون النصرة للاخوان ، وتتنزل الأنوار ، وتظهر الاسرار وتتسع الأرزاق فعلى الأخوان أن يجعلوا الفقير الضعيف المسكين ، محل الشفقة والرحمة والعطف ، حبا فى الله وتقربا الى رسول الله ﷺ لمن اتصفوا بالصفات التى يحبها » .

سابعاً : « أيها الأخ ـ أيدك الله وايانا لاتباع الكتاب والسنة ـ اعلم انك اذا جلست تذاكر من يخالف فى طريقك : بذكر خصوصيات شيخك ، أو أنوار طريقك ، أو بيان أن طريقك هو الطريق القويم والصراط المستقيم الذى كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه فانك بهذا تنفره منك ، وأنت مكلف بدعوة النصرانى واليهودى الى الله تعالى فاذا كنت لا تحسن أن تدعو أخاك المسلم الى ما علمت من الحق فكيف تكون داعيا لله تعالى لاتقل اذا لم تحسن أن تؤلف اخوانك المسلمين .. أنك داع ولكنك منفر .

اذا جلست يأأخى ـ وفقك الله ـ فى مجالس اخوانك المسلمين فبين لهم مايألفونه من كمالات رسول الله ﷺ ، وسعة رحمة الله والنعيم الأبدى الذى يناله من تمسك بسنة رسول الله ﷺ ، ثم حاذر أن تخالفهم فيما تعودوا عليه فان ذكروا الأولياء فترض عنهم ، وان ذكروا مشايخهم فامدحهم واثن عليهم حتى يألفوك ويأنسوك ، فاذا أنسوا فتكلم معهم بشيء من الحكمة على قدر عقولهم فان قبلوا وأقبلوا : فزد وان أنكر منهم أحد فأحذر أن يكون شيطانهم : فلن له ولا تعارضه حتى يأنس أو انتظر بعده عنهم ، ولا تذمه فى غيبته ، ودع ذكره مره واحدة مع الناس ، الا من تعلم فيه من الخير ، خشية أن يكون شيطانا من شياطين الأنس » .

---

١) هذا الحديث أخرجه مسلم وابن حنبل عن النعمان بن بشير . انظر الجامع الصغير جـ ٢ ص ٥٧٢ .

٢) هذا الحديث أخرجه البخارى ومسلم ، والترمزى والنسائى . عن أبى موسى الأشعرى . الجامع الصغير جـ ٢ ص ٥٦٩ .

ثامنا : اخوانى ــ منحنا الله الحكمة والحب والسكينة ــ اعلموا أن المراد من الدعوة إلى الله تعالى : نجاة العامة من نومة الجهالة ، وظلمة الغفلة وحجاب الغرور بالدنيا ، ولا يكون ذلك الا بالشفقة والحكمة والرحمة والمحافظة على عباد الله من وقوعهم فى عداوة أولياء الله ، ومن انكار الحق وازلال أهله .

وعلى الأخ إذا رأى من نفسه انزعاجا من شدة المحبة وقهر الحال ، الا يجتمع الا على الخاصة من اخوانه ويتباعد من المبتدئين ، وعن من لم يسلك الطريق ، لأنه فى هذه الحالة ينفع الخواص ويضر غيرهم ، ويفتح باب الجدل والانكار ، والأخ الذى يجب أن يفتح باب الجدل والانكار على الاخوان : ليس بأخ ولكنه عدو .

تاسعاً : اخوانى ــ منحنى الله الحلم والتأنى ــ اعلموا أنه من أشد الشر أن يكره المسلم أخاه المسلم لغير معصية الله وينفر منه ويعادية ، كما يحصل بين أهل المذاهب وأهل الطرق ، فان كان أهل الطريق يبغضون من لم يسلك طريقهم ويعتقدون أنهم على الحق ، وأن غيرهم على الباطل وقد يبلغ بهم العناد الى أن يلعن بعضهم بعضا ويكفر بعضهم بعضا من غير بينة ولاحجة من كتاب ولا سنة ، بل للحمية الجاهلية والعصبية الجهنمية ، ولو أنهم تأملوا قليلا : لتبين لهم جميعا أنهم اخوان فى الله وأن القرآن الكريم إمامهم ، وأن محمداً ﷺ نبيهم وسيدهم ومولاهم وأن الله سبحانه وتعالى هو ربهم جميعا ، وأنه لاخلاف بيننا فى عقيدتنا ولا فى عباداتنا ولا فى معاملاتنا ، ولكن الشيطان ــ نعوذ بالله منه ــ ينزع بين الأخ وأخيه ليوقعه فى عداوة من أوجب الله تعالى محبته ، ومحاربة من أوجب الله عليه مسالمته ، وقطعية من أوجب الله تعالى عليه صلته .

وياليت ذلك يكون لله أو فى الله ، بل لحظ متبع ، وهوى مطاع ، وتعصب لرأى قد يكون فاسدا ، حتى أصبح أهل الطريق وكأنهم وحوش تتنافر ، يسعى كل فريق فى ضرر الآخر خروجا عن السنة ومخالفة للكتاب العزيز ، قال الله تعالى :

(إنما المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخويكم) . (الحجرات : ١٠)

فيا اخوانى : جعلنى الله واياكم نورا للقلوب وانشرحا للصدور ، كونوا رحماء حلماء حكماء وأحبوا كل أهل : لا اله الا الله محمد رسول الله ، حبا للكلمة وحبا لله ولرسوله ﷺ .

وإياكم أن تتهاونوا بسنة من السنن الخفية أو المؤكدة أو تتهاونوا بركن من أركان الدين أو يدفعكم عدوكم الشيطان الى عداوة أخ من اخوانكم المسلمين فان ذلك كله مروق من أخوة الايمان ، ومخالفة للجماعة ، انما النسبة الى المرشد نسبة تلقى العلم والأسرار وليست نسبة تخرجكم عن الأخوة فى الله لكل مسلم ، وانما النسبة للمرشد تؤكد لكم روابط الأخوة وتكشف لكم واجباتها ، وتوضح لكم حقيقة المحبة فى الله تعالى كما يجب على كل مسلم لاخوانه ، نعم : يجب عليك أن تقول : تلقيت عن العالم فلان واسترشدت عليه ونفعنى الله بعلمه ، وأسعدنى الله بصحبتة ، ورويت عنه ، وتسعى فى أن تدل عليه جميع اخوانك ليتفقهوا فى دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة .

فاذا جهلت ونسيت فمدحته وذممت غيره ، وعظمته وصغرت غيره وأحببته وكرهت غيره ، فقد خالفت طريق المتقين ، كما أنك اذا تلقيت علومه واسترشدت برشده وأسعدك الله بحاله ، ثم لم تنتسب إليه لتظهر نفسك وتخفى المرشد ، كنت مدلسا ، وربما أوقع هذا التدليس صاحبه فى نفاق به يكون فى الدرك الأسفل من النار ، وخير الأمور الوسط ، والخير كل الخير أن ينجى الله على يديك عباده وأن يجمعهم من التفرقة ويبين لهم الطريق المستقيم ليسلكوه ويسيروا عليه .

عاشرا :

ان بعض الاخوان ممن يجهل المراد من الطريق ، قد يفتح أبواب الجدل والعناد حتى يتظاهر بعمل المنكر ، أو ترك المعروف عنادا ويجهل المسكين أنه بذلك قد أغضب الله ورسوله وخالف محجة الطريق .

فيا اخوانى ـ حفظنا الله وإياكم من البدعة ، وحصننا بحصون الشريعة ـ اذا رأيتم أخا من الاخوان يفعل ذلك فعليكم جميعا أن تردوه الى الحق وأن تكلفوه أن يقتدى بالمرشد حقيقة الاقتداء ، فان أبى الا العناد ، فالواجب على الاخوان اتخاذه عدوا له ، وكيف لايتخذوه عدوا وقد عمل مايغضب الله ورسوله وخالف المرشد ، فكل أخ لم يتخذه عدوا فكأنه رضى بأخوته والراضى بعمل الكبيرة مرتكب لها . »[1] .

قال تعالى :

« واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) (الانفال : ٢٥)

---

(١) النور المبين ص ٢١ ومابعده .

وهذه الآداب التى رويناها ، وغيرها مما هومبثوث فى كتب الامام هى بحق وثائق أخلاقية بمثابة نظم للمسلمين عامة ولأهل التعليم والتربية خاصة .

ولو أننا أنعمنا النظر فيها .. لوجدناها اختصارا لمنهج حياة فاضلة . وأسلوب للسير رقيق فالجماعة كالجسد الواحد .. وسلامة الأعضاء واجبة للجميع على الجميع والتفريط فى عضو هو التفريط فى جميع الأعضاء . فإن حقير الأعضاء كأفضلها مادام قائما بعمله .

والجسد الواحد لو ميز فيه بين العين والقدم ماسلم له وضعه وما قامت به حياته فواجب الجسد الواحد سلامة الأعضاء جميعها .. والمؤمنون كالجسد الواحد كل على ثغره منوط به عمله حافظ على اخوانه عورتهم فلوا أهملها لأوتوا من قبله .. ثم يقيم الامام بعد ذلك .. قواعد أشبه بالوثائق هى فى مجموعها استنباط من الكتاب والسنة ونور من معين الفيض المقدس على قلوب أهل الدين والورثة الحافظين .

وأساس الدين ــ لدى الامام ــ المحبة .. ومراتبها عنده متعدده متفاوته فأدناها أن يحب الأخ لاخية مثل مايحب لنفسه وأعلاها الإيثار . وقد وصف بالإيثار أصحاب النبى ﷺ فى قوله تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » (الحشر : ٩) فدعوة المتعلمين الى الأخوة أمر يستوجب الوقوف لأنه دعوة اسلامية أخلاقية ثم وضع نظام لهم فى التعامل كى يبقى الود بينهم والحب فيهم والإيثار من شيمهم .

ولايفتأ الإمام فى كل حين أن يذكر المتعلمين والطالبين فى مقام الأخوة أن يعتصموا بالصراط المستقيم وإياهم والمن بفضيلة أو المعايرة برذيلة وأن يخفضو الجناح للمؤمنين فتلك من أخلاق سيد المرسلين ﷺ ، والاعتصام بالكتاب والسنة والتخلق بأخلاق النبى ﷺ هو عين المراد من التكاليف الشرعية بل هو عين القربة لله تعالى .

على أنه يجدر بنا فى هذا المقام وقبل أن نتركه إلى غيره أن نذكر أمرا يجب علينا ذكره وهو أن تلك الأخلاق أو التربية الاخلاقية ــ سواء فى أدب المتعلم مع المعلم أو أدب المتعلم مع المتعلم ــ هى بعض قليل مما سطره الإمام ودونه وشرحه فى قصائده ومواجيده وهناك غير ذلك مدونات ومطبوعات ومخطوطات لو جئنا بها فى التربية الأخلاقية لكانت كثيرة جداً ولكان استقصاءها يحتاج الاعوام بدلا من الأيام .. وخير مايفيده المسلم أخاه خلقا تخلق به ولا يغرس الخلق فى النفس إلا خبير .

ومن مواجيد الإمام مايعد نظاما راقيا في التربية الأخلاقية ... انظره يقول :

أيا رفقتي ياأخلتي ياأحبتي ... على العروة الوثقى فسيروا ورافقوا
ألا فاجتماعا بالقلوب وألفة ... وعونا على عمل المكارم تلحقوا
وإياكم أخلاق إبليس إنها ... لقد أبعدته وهو طاووس رامق
دعوا الكبر والحسد القبيحين سادتي ... دعوا طمعا فيما يزول وسابقوا
وستراً لعورات الأحبة كلهم ... وعفوا عن الزلات فالعفو أرفق
وغضوا عن المكروه أعين عفة ... وجودوا ببشر فالسماحة رونق
واياكُمُ وعدوكم سوء خلقكم ... وطمعا وحب الجاه فهو يفرق
توادوا بروح الله بالله وأبذلوا ... لاخوانكم عند اللزوم وخالقوا
وكفوا عن التنفير واسعوا لجمعكم ... على الله فالدنيا متاع مفارق
الا من يكن في قلبه بعض ذرة ... من الكبر والاحقاد ماهو ذائق
الا طهر الاخلاق والنفس زكها ... والانفسهم البعد يرمى فيفتق ..
ألا ياأخي بالذل ترق وترفعا ... وبالزهد تعطى ماله تتشوق ..

تخلق بأخلاق الاله وحافظا ... على منهج المختار في العقد تنسق
ودع عنك ميلا للحضيض وزينة ... بها اشتغل اللاهون عنه وارتقوا
وقم داعيا بلسان حكمته الذى ... به قد حباك الله وهو الموفق
ولا تسع للتفريق واجمع له به ... عليه أولى التسليم إذ أنت واثق
الا سارعوا أحيوا لسنة أحمد ... ففتنة هذا العصر كالنار تحرق
الا اطفئوها باليقين تجردوا ... عن الحظ والاهواء فالحظ مفرق
وجدوا وجودوا بالنفوس تحفظا ... على السنة الغراء فالله خالق
ألا بعتموا لله مالا وأنفسا ... بمفهوم (ان الله) والذكر ينطق
وعلما بأن الدين حسن عقيدة ... وخلق وأعمال بها الذكر ناطق
الا خلصوا الارواح من سجن نأيها ... وجدوا لتزكية النفوس وسابقوا
الا جاهدوا تلك النفوس بهمة ... تفوزوا برضوان من النار تعتقوا
على سنة المختار سيروا بهمة ... عسى الله يحيينا به ويوفق
ويمحو بنا البدع التى عم نشرها ... لتشرق شمس الدين والشرق مشرق
الا فابغضوا من أكد الله بغضه ... أحبوا بحب الله والحظ فارقوا
الا فاحفظوا الاركان : اركان ديننا ... صلاة ، صياما ، ثم حجا ، تصدقوا

أديموا لذكر الله فالذكر نوره لاهل الهدى والغى لاشك فارقوا
الا عظموا لشعائر الله تعظموا بها وتسودوا فى القيامة تسبقوا .[1]

وهذه أخلاق من أغلى الفضائل ، إذا رعاها الانسان فى تربيته أثمرت ثمرة طيبة وجاءت بخير للمرء وغيره من الناس .. وعم المجتمع الأمن والسلام .

(١) النور المبين ص ٢١

الفصــــل الرابــــع
التربيـــة الروحيـــة

الروح فى الإنسان آية العجب ..

فالإنسان خلقه الله تعالى متسربلا بآيتين من آيات الله هما دليل القدرة وآية الحكمة والآيتين هما :

آية الإيجاد وآية الامداد ..

فأما الإيجاد : فذلك الخلق الظاهر من الإنسان الذى يجمع الأعضاء الظاهرة والحواس المشاهدة .. وماحمله من جمال فى تطور مراحله من أول الطين والماء المهين الى تسويته تسوية كاملة ، وصورته فى أحسن صورة صورها والتى تحدث القرآن الكريم عنها كآية للقدرة ودليلا للحكمة فقال تعالى :

« فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب .. (الطارق : ٥ – ٨) .

وقوله تعالى :

« لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » (التين : ٤ – ٦)

وقوله عز وجل :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (المؤمنون : ١٢– ١٤) .

فتلك الأطوار والأدوار داعية الى التأمل وحسن التذكر ، وهذه آية الإيجاد .

أما آية الإمداد : فإن الله تعالى . لما سوى الإنسان لم يأمر ملائكته بالسجود إثر التسوية مباشرة لكنه تعالى دعاهم الى ذلك إثر النفخ فيه فقال تعالى :

« فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » (ص . ٧٢) .

فنفخ الروح بعد التسوية أول آيات الامداد التى أفاضها الحق تعالى على هذا الإنسان الخليفة .. ويلاحظ هنا ..

أن الله تعالى فصل الإيجاد فى أطواره وكرره وعدده . أما آية الامداد الكبرى وهى الروح فالإخبار فيها يقصرها على الغيب دون الشهادة وأغلق الحق تعالى موضوع المناقشة المستديرة فيها حين سئل ﷺ عنها وأجاب الله تعالى فى قوله عز وجل .. « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » (الاسراء : ٨٥)

وباقى آية الإمداد من علوم للروح وأسرار كونية ومعالم غيبية يذكرها بها القرآن حينا فحينا وامداد للجسم .. كل ذلك يأتى بعد الروح أصلا فهى دليل على القدرة وآية على الحكمة ..

الروح فى تعريف الامام :

لايكاد كتاب من كتب الإمام أو قصيدة منظومة له تغفل جانب الروح (النفس الناطقة) فيتحدث الكل عنها فى ماهيتها وخفائها وعدم إدراكها .. أو فى سعادتها وسبحانها أو فى أحوالها المتعدده .. يقول عنها (فى أسلوب محاورة العقل وانبائه المحكمة الإنسانية كوزير لها فى محكمة الصلح الكبرى ..) بأعذب أسلوب تربوى ..

« النفس الملكية محجوبة عن الأبصار ، لأنها مفارقة للمحيز من الآثار ، وتعرف بأعمالها الحسان ، ولا تظهر جلية إلا فى الجنان ، أو لنبى مرسل ، وكيف تظهر وهى من نور صاغها الله ، لايشهدها إلا من صافاه . قال الله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » (الاسراء . ٨٥) وقد أثبت توكيلى (العقل يتحدث عن الروح كأنه لها وزير بأسلوب الامام فى الكتاب) عنها ، بما لدى منها ، فأنا وزيرها الأول ، وعلى فى شئونها المعول ، فهى كالشمس فى رابعة السماء ونورها مشرق على الأباطح والمنخفض من الماء ، فهى وإن أشرق نورها لاتدانى ولايدرك أحد حقيقتها ولو فيها عانى ، فاسمع منى بعد التحقق بقولها ذلك عنى فإنى ألقى عليك بيانى عنها بلسانى وجنانى .

الروح ياعدل فوق العقل إدراكا ... لم تدركن وبذاك العقل أنباكا
قد أعجزت وهى من آيات خالقها ... فكيف تدرك يامخلوق مولاك
الروح صيغت من النور العلى فلم ... تدرك بعقل وهذا العقل أفتاكا

الكل فيها حيارى جل مبدعها   سلم لمن بجلى العلم ناجاك
ياعدل تسأل عن روح لقد حجبت   صونا عن الحس والتحقيق وافاك
نص القران بأن الروح غامضة   من أمر ربك من بالفضل والاك
العقل نائبها والعقل رائدها   والعقل غيب وبالاحسان داناك[1]

ويستمر العقل (الذى يتحدث الامام عن لسانه) فى بيان الروح وسرها وعجز العوالم عن دركها ورجوع البصر خاسئا أن ينال شيئا من أنوارها .

ولا يعنى ذلك أن الروح فى هذا العالم مقبورة مقتلولة وأنها فى الجسم مسجونة معذبة بل لها أشواق لاتناها إلا بالجسم كما أن للجسم ضروريات لاينالها إلا بمساعدة الروح فهى مملكة كاملة التكوين وصورة برزت لتدل على نور رب العالمين وسيرد من القصائد والمواجيد ما يجلى الحقيقة أكثر وأكثر ..

وهذا بحق جديد على الفكر . وقد كنا نرى قبرها فى الجسم وعذابها وإذاً من الامام هنا نرى رقيها وكمالها فى الجسم .

بهجة الروح وتربيتها

يقتصر الامام الطريق علينا فيبين أن حاجة النفس الملكية يتركز فى الاتصال بعالمها وبما هو منه من علم أو عمل أو حال .

فإذا نالت شيئا من ذلك أسعدت وتهنت وظلت مبتهجة مسرورة ، وإن حرمت تلك العلوم والأعمال والأحوال شعرت بتعاسة وانتكاسة وحبس وضيق .. فيقول :

« النفس الملكية تواقة الى عالمها العلوى ، تشتاق للاتصال به علما وعملا وحالا . ولكن الفطر البشرية تحول بينها وبين ماجبلت عليه من الاستشراف إلى علومها ومعارفها ومشاهدها ، فإذا أكرم الله الإنسان بعالم عامل بجميع الأعمال وعلى الأحوال ، وكانت قواه البشرية متوسطة لاتحجب النفس الملكية عن شهود علومه وأعماله وأحواله لاشتغالها بدواع الحظوظ والأهواء البشرية ، فإن النفس بميل الإنسان إلى هذا العالم تستيقظ من نومها بحظوظ الجسم واشتغالها بأهوائه . فتشرق عليه شمس أنوار الملكوت وتنكشف له حقائق الأسرار وماعليه العالم العلوى من المشاهدات ، والقيام بالطاعات والقربات فتحصل العزيمة والرغبة والشوق والوله والمسارعة إلى المزيد من العمل ..

(١) محكمة الصلح الكبرى ص ٦٨ .

وتحصيل المعارف الحقة ، والعقائد الحقة ، والتخلى عما كان عليه من قبيح العمل ، ورديء الإعتقاد ، وسيء الخلق ، وشر الحال فتحصل المنافسة فى طلب الخير ، والتجمل بالمعانى القدسية ، حتى يتشبه بالملائكة الروحانيين ، وتدوم منافسته حتى تجلى له حقائق صادقة فى نفسه وفى الأفاق فتبدل صفاته وأطواره ومعارفه وعقائده ، وأعماله بالمعانى الروحية حتى يكون روحانيا حقا ربانيا صدقا .. »[1] ويقول فى مكان آخر .

« جبلت النفوس على حب مشاكلها مبنى ، ومضادها معنى ...

فهى تميل الى مشاكلها مبنى بتلذذ الحس بمشهد التناسب الجمالى وتميل إلى مضادها معنى ليمكنها أن تجذبه إليها بأحاديث مافيها من الجمال الذى ليس فى الآخرة فترى الغنى يميل الى الفقير والعالم يميل إلى الجاهل وهى صبغة الله التى صبغ بها الإنسان فإن الله يحب من عباده من جمله بضد صفاته ، وهو التواضع والذل والتسليم .. »[2] .

ولو ألقينا السمع إلى هذا المعنى الأخير لوجدنا أن كمال الروح فى هذا الكون ، ولولا الجسم ماسجدت الملائكة لآدم إذْ أن روحه سابقة فى عالم الأرواح يوم العهد والميثاق ولم تؤمر الملائكة بالسجود إلا بوجود الروح فى هذا الظل المعروف بالجسد ..

وفى هذا الجسد كان ترقيها بتنزل الشرائع السماوية التى هى بمثابة الهداية النورانية وكذلك تنزل القرآن الكريم والكتب السابقة من قبله . والله تعالى يقول فى حق التوراة

« إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور .. » (المائدة : ٤٤)

وقوله تعالى :

« وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور » (المائدة : ٤٦)

وقال تعالى فى القرآن الكريم :

« وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهمينا عليه .. » (المائدة : ٤٨) .

فتنزل الوحى وهو بهذه المثابة ماكان لينزل على الروح فى الكون إلا وهى فى ثوب التجديد بالجسم المكلف من الله تعالى .. حتى تنال بذلك الخلافة وتعبد الله كما أمر ..

---

(١) معارج المقربين ٧٥

(٢) الطهور المدار ص٥٢

وهذا الكمال المنشود من العلم والعمل والحال وقراءة القرآن وفهم أسراره والوقوف على أسراره .. مما تنعم الروح به ، وتترقى فى درجات القرب من الله تعالى ويحصل لها اللذة الملكوتية برؤيا الجمال الكونى وما فيه من مشاهد علية وآيات كونية ناطقة بجمال الله . هذا الكمال هو مانسميه بالتربية الروحية وهى التربية التى نعنيها فى تلك المدرسة على وجه الخصوص .

منهج الإمام فى تربية الروح :

للإمام مناهج علية تسعد الروح بمنازلتها من الطهور المدار على قلوب الأبرار وشراب الأرواح من نور الفتاح ، وسعادة الروح ولذتها أن ترى سرا فيما حولها .. أو فيضا من غيبها .. وهذا موجود فى كتب الامام مثل الطهور المدار ، وشراب الأرواح ومعارج المقربين ومحكمة الصلح الكبرى ..

والغذاء الروحى ، والتربية الروحية بحق إنما هى فى القصائد النظمية وهى بحمد الله كثيرة وكثيرة جدا ..

وسنكتفى بها هنا كتربية روحية ففيها الغناء وزيادة .

أسلوب الإمام فى هذا المنهج .

يرى الامام أن منهج التربية الروحية يتعدد ليشمل الأقوال والأعمال والأحوال وأن الأعمال التكليفية كفيلة بسعادة الروح من صلاة وصيام وغير ذلك فهذا مما تسعد الروح سعادة غامرة ..

وأما الأحوال فهى ثمرة الأعمال والأقوال ساعة تعمل الروح فى الجسم عمل الطاعة أو تسمع من أسرار البيان وأنوار الفرقان مايبعث فيها الأنس والشوق والوجد وغير ذلك مما هو من قبيل الأحوال . كذلك أحوال السعداء تسعد الغير كأن يأنس الانسان بمؤتنس ، ويحصل عند التواجد من وجد من يراه ، والقرب من سعادة الغير وهكذا والأقوال : التى يعنيها الإمام :

فهى سماع الحكمة المطهرة للأخلاق وسماع الخطبَ والمواعظ هذا من باب تهذيب الروح وتزكيتها .. فهو يقول عن هذا النوع من التهذيب أنه أرقى مراتبه ومنه : « سماع القرآن الشريف بالحان العرب من حسن الصوت ، وسماع الحكمة المطهرة للأخلاق ، وسماع الخطب والمواعظ من معتقد فيه كامل ، ومن قراءة سير الرسل – عليهم الصلاة

والسلام ـ وخلفائهم وورثتهم ، والعلماء بالله ، حتى تنطبع تلك الحقائق فى خياله ، فتصدر عنها أعماله وأحواله وأطواره ، موزونة بميزان »[١] .

والمواجيد التى نحن بصدد الحديث عنها تعد فى هذا الباب أخص تربية روحية متبعة لمنهج الامام ، وبأسلوب عذب رقيق يأخذ الروح حيث عالم النور الذى تصبوا إليه .

وأسلوب القصائد والمواجيد .. يتسق مع التربية فى الأمور التالية :

من حيث أن التربية كما علمنا مما سبق لها .. فإن الامام يعنى عناية خاصة فى تربية الروح بهذا .. فنرى فى المواجيد ..

أولا : بواعث الشوق والحنين الى عالم النور الذى منه بدايتها وكان فيه شهودها وإشهادها فى (ألست بربكم) أى يوم العهد والميثاق على الأرواح بربوبية الخالق تعالى بعد جمعها فى صعيد واحد والله تعالى يقول عن ذلك اليوم فى كتابه الكريم : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » (الأعراف : ١٧٢)

ولذلك نرى الامام دائم الذكر له فيقول :[٢] .

تراءى لى بعهد ألست عينا ... جذبت به اليه بصدق رقى
سمعت ألست كشفا فى اتصالى ... به ورأيت نور الوجه فوقى
تجلى ظاهرا فى الكون حتى ... به أفنى شهودى حال محقى
أنا سترت ولاح الوجه نورا ... فأثبتنى له عبدا بعتقى
ألاحت لى ألست ضيا المعالى ... أمامى الفرد فى جمعى وفرقى

وفى هذا القسم كثير من المواجيد .

ثانيا : ويتصل بهذا المقام مقام أخر فى مواجيد الامام وهو :

ذكر النشأة والنشوة عند ذكرها . حتى نرى للروح انتعاشا وطربا ينعكس على الجسم .. وأمثلة ذلك كثير فى المواجيد :

ومن قصيدة طويلة أولها .. (أشتاق لى وأنا فى حيطة المبنى) يقول :[٣] .

---

(١) شراب الأرواح ص ١٣٠ .

(٢) الطهور المدار على قلوب الأبرار ص ٥٦ .

(٣) من المواجيد المخطوطه للإمام .

أواه لى لوعة للبدء دائمة إذا تخيلتها فى سدرتى أفنى
كل الوجود لمعنى فىّ مشرقة مسخر لا لأركان ولا مبنى
لى لوعة وهيام لايفارقنى إن شمت منها وميض اللامع الأهنى
فى هيكلى صورة تنبى بمبدعها لكنها حجبت بحضيضها الأدنى
أشتاق رؤيتها لو أنها رفعت عنها الستائر حتى تظهر المعنى
فى هيكلى وأنا أشتاقها أبدا وان لاح نور وانشاد لها غنى

وأسلوب التربية يجعلنا نقف أمام المواجيد لنعرف مراقبها ومراتبها كاساس فى التربية الروحية عند الامام :

المواجيد القلبية

وهى قصائد نظمية تجمع المراتب وتبيح المطالب تتحدث تارة عن نور كان ، وتأخذ أخرى فى أسرار يكون ، وتارة فى غوامض كن .. إبرازا لمعنى الوجود وإخبارا بأسرار الشهود ، وتنطق مرة عن الوهم المتجرد عن الحيطات ، وتخبر عن الخيال السابح فى المكونات ، حتى تتكلم النفخة القدسية عن حظائر الغيب المصون ، وتنطق الروح الكلية من أسرار الكون المكنون وتجعل الكون كأنه حان يتناول الانسان منه معنى محبته ، وينال فى شهود معناه حقيقة وصلته وتقيم مرة أخرى محاورة بين الروح والجسم فيتكلم كل بقدره ويفخر كل بمقامه ويحسب السامع أن الناطق معجز ، وأن الحجة للمتكلم حتى يسمع الأخرى فتختار النفوس من هذا الغيب الجلى والحيرة الأشد أن تذكر الروح منازلها وتعلو بأقدارها وتسمو فى مراحلها حتى تشهد الغيب المصون وتحسب حين تسمع أن الجسم لايقف أمام هذا السمو ، ولاينال درجة فى هذا الرقى فاذا به حين يتحدث فى هذه المواجيد وتلك القصائد المنظومة كالعقد الفريد والنور التليد يسمو نورا يعجز الروح أمره ، ويقهرها سره فتصفق الحقائق فينا عجبا لهذا الطين الذى صار نورا وهاديا . وليست المواجيد فى ذاتها نظما لكلمات واختيارا للقوافى والمقامات بل هى غيض من فيض يجرى على حسب الرتب السمعية والقلوب الهنية التى تسمع فتكتب ، وتكتب فتعقل وتحفظ .

وماهو فوق الأسرار فلا تبديه الحروف ، ولاتكشفه غوامض الكلمات والامام فى كل حال ينادى أبناءه أن يحفظوا السر عن غير أهله خشية أن يبذلوه رخيصا فيجحده الجاحدون وينكره المبطلون وهو أسمى من أن يرد وأغلى من أن يجحد : فيقول لهم :

احفظن سرى فسرى لايباح ... من يبح بالسر بعد العلم طاح
علمُنا فوق العقول مكانة .. كيف لاوهو الضيا الغيب الصراح
خصنا بالفضل فيه ربنا .. ذاك سر غامض كيف يباح ؟

المواجيد ومرتبة الواجدين :

لانجد كتابا خلا من بيان أساس التربية عند الإمام أبى العزائم فهو كثيرا مايشير وأكثر مايقول أن أساس هذه التربية هو « ماكان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم باحسان رضى الله عنهم جميعا وأساسه مقام الإحسان بعد مقام الإسلام والإيمان ، والسالك فى هذا الطريق يجب أن يكون محصلا مالا بد له منه من العقيدة الحقة ، والعلم بأحكام العبادات والمعاملات والاخلاق ، كما هى سنة الراشدين وكلما حصل فقير من آل العزائم مالابد له سمح له بدخول الخلوة « وكل أخ أقمناه لخدمة الفقراء فى كل بلد لايقام هذا المقام الا بعد صحبتنا الزمن الطويل ليتلقى منا مباشرة بالعلم وبالعمل وبالحال مايجب أن يكون عليه فان لنا دروسا فى الأوقات الجامعة للإخوان نشرح فيها قواعد الاسلام وحكمة الاحكام ثم لنا مع الخاصة إشارات توحى الى مشاهد التوحيد العلية وشرح مواجيد ناتجة عن التمكين فى المقامات ، حتى يكون للمبتدىء الماء ، وللسالك اللبن وللواصل الشراب الطهور ، وللمتمكن العسل المصفى ، الذى فيه شفاء للناس كما قال تعالى :

(فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى) (محمد : ١٥)

وكل خديم فى بلد خالف منهج المرشد ، أفسد على الفقراء أحوالهم ومامن أخ صحبنا الا وهو على بصيرة من تربيتى للفقراء .»[1]

ولهذا جاءت القصائد والمواجيد :

(١) آداب وأخلاق تهدى المريد الى صحة الطريق التربوى وتجمل له الشرع الشريف فى نظم سهل يسير حتى يكون على حفظ بمرتبته عالم بدرجته غير متجاوز للشرع الشريف ، بدعوى أو بضلال .. مثال ذلك ماتقدم من المواجيد فى السير والسلوك والتربية والأخلاق ، والإخوة والمحبة ومن ذلك .

---

(١) نيل الخيرات ص ٢٧ الطبعة الحادية عشر .

السير سير السالك الأواب فوق الصراط بصحـــة الاداب
فى الروض حصن الشرع يسلك ناظرا للحـــق لالظواهـــر الأسبـــاب
حتى يشاهد مشهد التوحيد فى عين اليقين بصحبة الأحباب
بدء الطريق رعاية للغيب . فى حل وترحال حضور غيـــاب
يسقى مدامة غيب قرآن الهدى يعطى الولاية بعد رشف شراب

والقصيدة طويلة فى الآداب والسلوك[1] وايضا :

الحب فى الله نور يشرح الصدرا والحب فى الله سر يرفع القدرا
والحب فى الله معراج الوصول له من يعشق الله بالمحبوب قد ظفرا
الحب أسعدنـــا والحب قربنـــا بشرى لنا فجمال الوجه قد ظهرا

وهناك قصائد كثيرة مطبوعة والكثير مخطوط فى هذا الباب .

(٢) قصائد ومواجيد فى النفس وتربيتها وتزكيتها والجهاد والمجاهدة .. من ذلك[2] .

نفسي هى الكنز فيها سر معناه بغير كيـــف وفيها نور مجلاه
جهلى بها الحجب عن علمى بمبدعها وعلمها كشف حجبى فهم معناه
نفسى مثال تراه لى به وضحت آياتـــه وبها أعطـــيت جدواه
نفسى له صورة تنبى مشاهدها اذا تحقق أن المبدع اللـه ..

وأيضا[3]

هى النفس للدانى تحن وترغب وللعاجـل الفـانى تميـل وتطـلب
هى النـــفس تهوى حظهـــا ولـــو أنها أضاء لها التحقيـــــــق من ذاك تهرب ..

وأيضا[4]

جاهـــد نفـــوسا فيك بالشرع الامين واحـذز قوى الشيطـان فى القـلب كمين
غل وكيـــد من حسود ماكـــر ... ظلـم العبـاد بنيـة فى كـل حيـن
هـــذا اللعين بـــه الهـــلاك فخلـــه أسرع الى القـــرآن فى الركـــن المكين

قصائد فى الأحكام وحكمتها والعبادات وسر تنوعها من ذلك قوله فى الصوم[5]

---

(١) دستور السالكين ص ١٠٣
(٢) معارج المقربين ص ٦٦
(٣) معارج المقربين ص ٧١
(٤) دستور السالكين ص ٩٦
(٥) مواجيد شهر رمضان سنة ١٣٥٢ هـ

رأى جسمى لدى صومى العبودة　　فأشهده الصيام به وجـوده
دعـاه الصوم للتجريد حتـى　　لقد فك الصيام بـه قيـوده
وفـى العشرين من صومى تراءى　　بفجر النور فى نفس عهوده
فكان الصـوم لى تركى لتركى　　فصالحنى به ونقـى صـدوره
فليت الصـوم لى عاما طويـلا　　أعالج فيه من طبعى جهـوده
أعـاد الصوم لى بدنى عيانـا　　فصرت النور لاأدرى حـدوده
وصـار الوصل لى عين ايجاد　　فسبحان الـذى أعطـى مزيـده
مزيـدا بعـد ايجادى ومنحـى　　عطايا الفضل نعماه وجـوده

وفى الحج :

أحج بالروح للمجلـى وأشواق　　تتمو الى البيت فى حيطات آفاق

(٤) رتب الوجود ومقام الانسان بين هذه الرتب :

إذا تكلم عن الذات الأحدية فانه يظهر هذا البيان متضمنا معانى القرآن الكريم فليس أوضح أو أكمل أو أجمل من عرض الذات الأحدية المنزهه فى غيبها عن مدارك العيان والله منزه عن التنزيه وهو فى تنزيهه خاف عن الإدارك وفى بطونه ظاهر فى كل مكان

ففى قربه ظاهر لا يخفى :

كيف يخفى والكون علوا وسفلا　　مظهـر له يلـوح مثـالا
كل شيء أراه فى الكون ينبي　　بمعـانى توحيـده اجمالا

وفى ظهوره منزه لا حلول ولا اتصال :

هى فى كنز العما ليست ترى　　ان تجلت أصعقت أهل الكمال
والجلال لها سيـاج مانـع　　عن حماها كل روح أو عقال
نزهت عن أن يراها غيرها　　أشرقت بالاجتـلاحال انـفصال
مظهـر لنـا يجلى أنوارهـا　　نزهنها عن حلـول واتصال

والانسان والكون ظاهرا قدرة الذات : (والكلام على لسان القدرة الإلهية)

تلك المظاهـر والشئـون مرائى　　فيها يلـوح لمن صفـوا أسمائى
فالعارفـون يرون سر تنـزلى　　والجاهلـون مرادهـم آلائى

وقوله :

ظهـورك بالآيات فى الآثار   به ساحت الأرواح فى الأنوار
تجليت أبدعت العوالم كلهـا   دلائـل توحيـد على الغفـار
نظرت بعين الرأس فى الكون لاح   لى جمال رأته الروح فى استحضار
نظرت بعين القلب فى الآى فانجلت   صفات المعانى للمراد السارى
نظرت بعين الروح والوجه مشرق   يحيط بأرجائى فلاح منـارى
وها أنا أدعوا الله جل جلاله   أنلنى الرضا والفضل فى إيثار .

وأخرى[1]

معالم الكـون آيـات تنبئنـا   عن سر غيب بدا منه لخالقنا
وفى السموات والأرضين آيته   لأحت لأهل النهى جهرا تفهمنا
شهدت علانية للناظريـن لها   وأشرقت شمسها تنبى بموجدنا
وبرهنت لذوى الألباب قائلة   الحق لاح جهارا شاهدته بنا
لسنا بحجب ولكنـا دلائلـه   تبدو شمائل أوصاف العلى عنا

ثالثا : الانسان :

وهو من بدايته فى اللف يشهد عبوديته وكذلك فى مراحل حياته بعد ذلك فيقول[2] فى (ألست) كما مر ذلك من قبل :

قد أديرت للروح يوم أَلَسْتُ   وتهنت بها بكشف صـريح
آه روحـى لها تحن دوامـا   من ألست وقبلها فى الصلوح
حيث لاكون بل ولاأين يخفى   نور مجلى العلى والسبـوح ...

الى أن قال

كنت نورا يضيء قبل ألست   وهـى بدء للحسن والتقبيـح
آه والروح فى هيام وولـه   لعلى منـزه سبـوح
(وسقاهم) قد هيمتنى فروحى   فى هيام للكشف والتصريح

---

(١) النور المبين ص ١٧٥ .

(٢) ديوان عام ١٣٣١ ، ١٣٣٢ هـ ص ٨٠ .

ومن أول الرتب الإنسانية إلى أخرها تقع المخاصمة بين الروح حيث كانت بدايتها من نور تشهد الأنوار فلما جاءت إلى الكون حجبت بالجسم ، ويرى الجسم غير رأيها وتقع المخاصمة والمحاورة فى أسلوب بديع فيقول الإمام فى ذلك :

لى غرام من نشأتى الأوليــة ... حين واجهت وجه رب البرية
لاح لى الوجه فى سما الروح أحيا ... ذاغرام الى المعانى العليــة
كنت روحا أشتاق والنور حولى ... صرت جسما فى دار دنيا دنية
ظل كونى قد حجب الروح ويحى ... عن شهود الاسرار فى الصمدية
كيف صبرى من بعد رؤية وجه ... فى صفاء عن صورة المثنويه
أنت ياجسم قد سترت حبيبى ... صرت ياجسم للقريب بليـه
خل روحى تفـر للـه إنى ... فى هيـام للـوصل للأحديـة

قال الجسم

صاغنـى اللـه ربى باليديـن ... فاشهـد جمال العطيـة
صاغنى اللـه باليديـن وأنت ... بى نلت طهـوره الأحمديـة

حتى يتم الصلح

قالت الروح أنت ياجسم رق ... أشرقت فيك شمس الأوليـة

وغير ذلك من أشجار وأنهار وماء وسماء ورمل وحصى وزرع وضرع كل ذلك له عند الإمام مشاهدة وفى المشاهد رتب تلوح ..

وغير الغير من رتب الاحوال والمقامات وذكر البدايات والنهايات ،

أهل الوفا قصدهم روضات جنات ... أهل الصفا قصدهم مجلى كمالات
أهـل المحبة بالمحبـوب شغلهـم ... ذكر وفكر حضور فى البدايات
والعاشقون جمال الوجه قصدهم ... كشف الحجاب بمعنى سرآيات
أهـل العـزائم عشاق لخالقهـم ... لم تلههم عنه أعلام الكرامات

ولا نستطيع هنا أن نحصى أو نستقصى القصائد عدا .. فأمر ذلك يطول وهى آلاف مؤلفة ، ومجلدات مخطوطة تعد أكثر التراث ، وأعمه .. ولها فى التربية الروحية طرق وأصول منها تسعد الروح وتهنأ .

هذا وان من المؤلفات للإمام ماتسعد الروح به كثيرا ويعتبر الأصل في ذلك . إلا أن هذا بجانب المواجيد قليل وقليل جدا .. وإن كان كثيرا جدا بالنسبة إلى غير المدرسة ..

الفصـــل الخـامـس
التربيـــة الإجتماعيـــة

نعنى بالتربية الاجتماعية ، مايتعلق بالفرد والجماعة فى فكر الإمام وما يتعلق منه بالتربية والإجتماع على وجه الخصوص .

والإمام لايرى فى الدعوة اختصاصا . بجماعة دون غيرهم . صحيح أن للداعية تلاميذ ملازمون له . فهو يخصهم ببعض إشاراته وعباراته . لكن ليس معنى ذلك أنه بهذا مقصور عليهم .

فليس من صفة الداعية الى الله تعالى أن يقصر دعوته إلى أهل إرادته وبنى ملته ، إذ هو مكلف بالدعوة العامة التى تجمع من يحب ومن يقلى ما جاءوا فى ثوب واحد هو ثوب المدعو ، ولا نقول أن يواخيهم أو يتعلق قلبه بهم فذلك خاص على أهل الاجابة منهم ثم إن أهل الإجابة أيضا ليسوا فى درجة واحدة والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء فالحكم فيما يملك من الدعوة وحكم تبليغها وان الطالب الصفى ليغار على نفسه أن يقرب منه أو يقرب من غوى حفاظا على نفسه وصونا للآداب ..

ولكن الكمل من الرجال ، ومن تحلوا بحلل الوراثة وتجملوا بجمال الهداية ممن حفظهم الله تعالى وأخلصهم له وجعلهم من الذين ليس للشيطان من سبيل اذ هم عباده وأولياؤه وأحباؤه وأصفياؤه ومحل نظره من خلقه يراقبون الحق فى الخلق فيعاملوه سبحانه فيهم من غير حلول ـ أستغفر الله ـ أو شبهة ذلك إنما هم متبعون لاكمل الرسل ﷺ ومتجملون بحاله ..

فدنوهم من الخلق على قدر قربهم من ربهم وشهودهم جمال وليهم .. حالا ووجدا ودعوة وقربا .. وتلك لاينبغى أن تكون لغيرهم أو فيمن سواهم ..

معنى الأخوة

إننا نجد الإمام فى تفسير ذلك قد حاز قصب السبق فى الوارثين فنجده يقول : « أريد بالإخوان : كل الناطقين معى بـ « لا اله الا الله محمد رسول الله » المتفقون معى على

التصديق بما أنزله الله على سيدنا محمد ﷺ المؤمنون باليوم الآخر وان تفاوتت مراتبهم من حيث فهم آيات الله . وذوق معانيها وانبلاج أنوارها ووضوح الحجج والدلائل بحسب المواهب التى يمن الله بها على كل أخ مؤمن من الفطنة والذكاء والنور والفقه ، والمعرفة والعناية والتوفيق لعمل تزكية النفوس ، والقربات ومكارم الأخلاق وحسن المعاملة وعلوم اليقين فان هذا التفاوت وان أدى الى اختلاف فى مشاهدهم وأحوالهم وخصوصياتهم ، بالنسبة لما يمن الله به عليهم من مزيد الايمان الا أننا والحمد لله جميعا نمثل أبناء والد واحد ، ووالدة واحده ، كلنا بارون بوالدينا ، لانشك ولانرتاب فى صحة نسبنا اليهما الا أننا نتفاوت فى السن وتفاوتنا فى السن لايؤدى إلى إختلاف بيننا وخلاف ، بل كل واحد منا ــ وان كان رضيعا ــ هو أخ للآخر ــ وان كان كهلا ــ حظه من والديه مع طفوليته كحظ الكهل منهما . نسباً وميراثا وحقوقا الا أن الصبى يعظم أخاه الكبير بالإقتداء به ويتلقى علومه ومعاونته على النفع العام . والأخ الكبير يرحم الصغير بدلالته على الخير ، وتربيته على مابه سعادته وسعادة اخوانه وموالاته بما لابد منه من غذاء الجسم أو الروح أو تزكية النفس »[1] ...

هذا معنى الأخوة فى الله تعالى واعتقاد أن كل من قال لا اله الا الله أخا له حق فى الأخوة عند أهل الفضل منهم ..

ويرى الامام من حق الأخوة .. صفات الرحمة والمودة وأخص شيء فيها .

هو الدلالة على الخير ..

وهو معنى التربية .. ولقد وفى بها الامام للعالم الاسلامى سواء كانوا أفراداً أم جماعات مادامو قد نطقوا بالشهادتين .. ولقد بذل الإمام قصارى جهده فى سبيل :

(١) تربية الفرد الإنسانى الإسلامى تربية صحيحة تقوم على كتاب اللة وسنة رسوله ﷺ .

(٢) دعوة الإنسانية فيما بينها إلى التراحم والتواد والمصالحة .

وهذا مانعنيه بالتربية الإجتماعية .

فأما تربية الفرد المسلم .. فقد سلف ذكرها . وبقى الجهد لتحقيق الأخوة كسبيل لنيل المجد الإسلامى .

---

(١) مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ١٦٩ .

جهاد الإمام لتحقيق المجد الإسلامي : ـ

لاينكر ذو قلب سليم عامر بالإيمان أن تلك الجهود التي بذلها وكان يبذلها في سبيل الدعوة الى الله تعالى أنتجت ثمرة علمية اسلامية من الكتب والمواجيد ، وأقامت جيلا يفهم الدعوة بعد أن تربى بها تربية سلفية طرحت البدع وأقامت صرح الدين في نفسها وأهلها ودعوتها للناس أجمعين بل إن دعوته فوق ذلك قد عمت حتى نادت على المسلمين في شتى أنحاء المعمورة وجمعت تحت لوائها مختلف الأجناس من أهل الإسلام . وذهبت حتى دخلت على الملوك عروشهم وزلزلت الأرض من تحت أقدام المستعمرين ، ونادت على الزعماء بشتى أنواع النداء لجمع شمل الأمة وتحقيق الوحدة والإخلاص لله والوطن ...

ولقد ظهر هذا البناء الإجتماعي الذي ذهب إليه الإمام ونادى به ، ودعا اليه دعوة عالية في الجيل والناس أجمعين في كتابة « الإسلام نسب » ، « والإسلام دين الله » ، « والاسلام وطن »ووسائل نيل المجد الاسلامي وهو دستور إجتماعي ديني تربوي .

مما يدل على أن مرمى الإمام ليس القصد منه فقط تربية جماعة بل هو بناء شامل واعداد كامل للأمة والمجتمع الاسلامي قاطبة حتى يسترجع هذا العالم مجد سلفه وأبائه الكرام المخلصين الذين رفعوا راية الاسلام في كل مكان باذلين في ذلك النفس والنفيس فرحين بذلك ومستبشرين . ولعل مايدلنا على ذلك في مدرسة الإمام موقفه من الزعماء الإسلامين . وموقفة من الخلافة الاسلامية في مثلين للم الشعث ، ووحدة الصف . وكذلك دعوته للامة جميعا لتستيقظ من رقدة الجهالة وتثوب بعد ذلك الى الله تعالى متمسكين به حتى تحيا الأمة في خلفها كما كانت حياتها الأولى في سلفها .

ولم يقف الامر به عند هذا الحد بل كان يكشف في مجلته الأسبوعية (المدينة المنورة) عن حيل الإستعمار والمستعمرين ضاربا في كل ثورة من الثورات الإسلامية بيده في جهاد ابنائه ليمحوا هذا الأخطبوط المنتشر في بلاد الاسلام .

ولعل أبرز شيء في هذا هو اقصاؤه من السودان ، ولم يكن الإقصاء بالحلقة الأخيرة في جهادة بل كان بمثابة البداية والإستعداد وأخذ الأهبة للسير في الطريق الأمثل ليكشف القناع عن الإستعمار والمستعمرين أين كانوا ، وأينما يكونون ..

وحصر مواقف الإمام في كل هذا من الصعوبة بمكان .. إلا أنا سنختار من ذلك قطفا من تلك الأزهار الفيحاء الغنية بها جنته وهي على كثرتها بمثابة الجند على الثغور

لاينفك جندى عن ثغره إلا خلا موقعة وأظهر بعد ذلك عورة المسلمين ولذلك جاءت متركبة مرتبطة فى البناء تنادى مرة الأمة وتبعث فيها المجد الاسلامى ، وتحث مرة أخرى الزعماء على جمع الشمل ولم الشعث والإخلاص لله والوطن ، وهى تغذى الثورات الإسلامية بالأبناء المخلصين والزعماء الأحرار ثم تقوم بعد ذلك تجمع الأمة كلها على وحدة واحدة متمثلة فى النداء بالخلافة الإسلامية حينما أعلن (أتاتورك) حلها .. ولو أغضب ذلك الملك . على النحو ستبسطه فيما يلى : ـ

أولا : جهود الامام فى جمع كلمة الأمة .

اتخذ الإمام وسيلة فى جمع كلمة الأمة مستخدما فى ذلك مايملك من أنفاس ، معبرا عن ذلك فى كتبه ، ودعوة أبنائه وأتباعه ، وصحيفته ، وجميع الصحف التى كانت تصدر فى ذلك الحين ، وأننا نسجل هنا بعض ما جاء فى تلك الصحف والمجلات مما يعبر عن تلك الجهود الروحية فى جمع كلمة الأمة .

كتب الإمام إلى الأمة ناصحا :

« إلى كل واحد من أفراد الأمة أقدم نصيحتى أنت أيها الأخ عضو من جسد الأمة عاملا لنفسك ولها . فالأمة فى حاجة إلى صحتك وعافيتك لتعينها ، وأنت فى حاجة إلى الأمة القوية المنيعة ، لتنال بها العزة ، فالواجب عليك أن تقدم خيرالأمة على خيرك الخاص ، وألا تقدم على عمل من الأعمال العامة ، إلا بعد أخذ رأى أهل المشورة والحكمة والتجارب ليكون عملك منتجا للخير العام والخاص ، اذ ليس الشجاع من قهر أقرانه انما الشجاع من قهر نفسه ، لتكون نفسا فاضلة ، عاملة للخير ، وليس الوطنى من دفعته غيرته فعمل على مايضر الأمة ويمكن الأعداء ، وانما الوطنى من عمل الخير لأمته ودفع شر الأعداء بالحكمة .

« خير وسيلة لنيل الخير أن يثق كل فرد من الأمة بنفسه معتقدا أنه جندى من جنود الوطن فيضع نفسه حيث يكون الخير للأمة فان كان من أهل الشورى فمعهم ، وان كان من أهل التنفيذ فمعهم ، وان كان من العمال الذين يجب عليهم ملازمة أعمالهم الضرورية للأمة لزم أعماله من زراعة أو صناعة أو حرفة أو تجارة . والفساد انما يحصل بقيام كل واحد بعمل مالا يحسن ، وترك مالابد منه وأهم مايجب علينا الآن عمله ، تكوين الأمة حتى تكون جسدا واحدا ويكون كل فرد ككل عضو فى الجسد وبذلك تقهر أعداءها ولو اجتمع عليها كل من بأقطار الأرض . وأمة لم تعلمها الضرورة فلتتبوءا

مقعدها من الذل ومتى سعت الأمة الى اصلاح ذات البين وعلم كل واحد منها مايجب عليه فعله رقت وعزت .. وقد بينت بيانا للزعماء ، وللأمة جمعاء ، وللهيئة الحاكمة ، وهذا بيان للأفراد ومتى صلح الأفراد صلح المجتمع .. والله لايضيع أجر من أحسن عملاً[1] .

نشرت جريدة الأخبار مقالا للامام بعنوان « حول الحالة الحاضرة ـ الدين النصيحة » قال فيه : « قال عليه الصلاة والسلام : لاتزال أمتى بخير ، ماوقر صغيرهم كبيرهم ورحم كبيرهم صغيرهم » . هذا الحديث هو الأصل الذى بالعمل به تكون الأمة كالجسد الواحد الصحيح القوى ، ومتى احتقر الصغير الكبير وظلم الكبير الصغير ، تفرقت الأمة وضعفت وتمكن منها عدوها .

« فالى رجال الحكومة : انكم أفراد من الأمة ، وأن ماتمتعتم به من نفوذ الكلمة ومن واسع النعمة ، ومن الجاه والعزة : انما هو بالأمة ومنها ، فإذا عاديتم الأمة وهى مصدر الخير لكم وأرهبتموها بالحديد والنار ، قتلتم نفوسا أنتم فى حاجة اليها وأضعتم ثقة من القلوب لاغنى لكم عنها . وفتحتم على الأمة أبواب الشرور من الجبن والعمل على نيل السلامة منكم بالمكر والخديعة فيهملوا الواجب عليهم من التعليم والتجارة والصناعة والزراعة ، ويخرج بعضهم على بعض فيتفرقوا شيعا وأحزابا ، وهنا تحصل الطامة الكبرى وهى :

إما غضب القهار المنتقم فيسلب الحكم من أهله . وإما تسليط العدو الغاصب على الحكومة أولا وبالذات ، فيصير الحكام بعد العزة أذلاء ، وبعد القوة ضعفاء ، وبعد الغنى فقراء وتصبح الأمة مستعبدة بعد الحرية مملوكة بالأعداء بعد أن كانت مالكة ، وهذا هو نتيجة محاربة الحكومة للامة وليست الممالك التى إنهارت والأمم التى اندرست الا بسبب هذه المظالم .

ويأيها العلماء من هذه الأمة : أنتم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة فلا تطفئوا هذه السرج بالطمع فيما يغنى والزهد فيما يبقى ، ولا تخمدوا أنوار تلك المصابيح لنيل الجاه أنتم ملح الأرض ، فاذا فسد الملح بالحسد والحقد والحرص فسد العالم أجمع .

---

(١) السعادة الأبدية المجلد السابع الامام أبو العزائم ص ٢٠٢

قال تعالى :

« من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما محوراً » (الإسراء : ١٨)

وليس العالم من حصل أثقال الجبال علما ، إنما العالم حقا من يخشى الله تعالى ، وشر الناس عليم اللسان جهول القلب » .

ثم نصح طلبة العلم ، والتجار والعمال ، والصناع ، ونادى على رجال الأمة جميعا « يارجال الأمة جمعاء : إن تقليد أوربا فى النظم التى وصلت اليها ، بعد قرون طويلة قلدت فيها سلفنا الصالح رضى الله عنهم حتى نالت ماهى فيه الآن .... تقليدنا اياهم هذا فى الاختلافات الحربية سبب الإنحطاط ، لاننا فى حاجة إلى تكوين قوميتنا بالإتحاد ، والى حفظ ثروتنا بما ينميها لنا ، من رقى الصناعة ، وتقدم التجارة والعناية بالزراعة حتى تكون الأمة غنية بما لديها من أسباب السعادة لاتحتاج معها الى الأجانب فى كل أمر من أمورها .

« انظروا ماآلت اليه حالكم .. لقد أصبحتم أحزابا تتطاحنون ، مع أن القصد واحد ، وانما الاختلاف لاسبب له الا الطمع ... أوربا كثرت فيها الأحزاب ولكن لكل حزب مقصدا خاصا به ، الأحزاب أحزان فى أمة تجاهد لدفع العدو الغاصب ـ

والتفرقة فى أمة لاقوة لها على دفع عدوها الرابض فى عقر دارها هى موت أبدى فلينصح كل فرد من الأمة بكل رخيص وغال لنيل الخير العام وليحقر كل رجل مايناله من الجاه والسلطان الذى يكون فيه ذله وذل أمته »[١] .

ولا ننسى التاريخ الذى قيل فيه هذا المقال وخرجت فيه الصحيفة ، وكيف جاهر الإمام بالعداء السافر للإنجليز بل ودعا الناس جميعا الى هذا العداء ولاتزال البلاد فى قبضتهم وبيدهم أن يحولوا الدفة فيه كيف شاءوا وعلى أى حال أرادوه ارادة لا يقيدها شعب ولايحكمها قانون .. ولكن الإمام لاينسى أن يبدى النصيحة لله والوطن والناس أجمعين .. مهما كلفه من رخيص وغال ، وليس فى الخفاء حتى يقال هناك المبرر من التقاه من خوف الحكام الانجليز « فالنصيحة لله الخالق فوق كل الناس من المخلوقين .

---

(١) جريدة الأخبار بعددها الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٥ ، والامام أبو العزائم ص ٢٠٧ ومابعدها .

وتدخل تلك النصيحة للزعماء فيناديهم ... « أيها الزعماء - ليس للمصادفة دخل فيما بلغتموه من ثقة الأمة ولكنكم وجدتم يقظة من الأمة ومطالبة منها بحقها المغصوب . فاندمجتم فى مسلكها وتفوقتم فى بيان الحق المسلوب . وأظهرتم حماسا وغيرة وإقداما ، صادف هوى فى نفوس القائمين بالنهضة واعتقادا بأن القائلين يعملون ، باذلين مالديهم من المواهب العلمية والعملية والمالية فى سبيل فوز الأمة بمطالبها العزيزة . فقامت من ورائكم ومن أمامكم ، أليس هذا إرجاع المسلم إلى ثقافته الإسلامية وتوجيهه الى الطريق المستقيم ؟

جهود الامام فى الخلافة الاسلامية : -

قررت الجمعية الوطنية بأنقرة فى الثانى من مارس سنة ١٩٢٤م ابعاد الخليفة عن تركيا وتخليه عن الخلافة ... وان كانت تركيا فى ذلك العهد الأخير لم تقدم أو تؤخر للعالم الاسلامى شيئا اذا لم يكن فى استطاعتها أن تفعل شيئا الا أنها ظلت حتى على الاقل رمزا أمام العالم يحمل معنى وحدة هذا العالم الاسلامى ويحمل معنى فيه ساميا هو الخلافة والخليفة ، فلما أعلنت تركيا اقصاء السلطان عبد الحميد عن الخلافة وعن تركيا .. كان هناك أملا عند الإمام فى جمع شمل الأمة من جديد تحت اسم الخلافة الإسلامية فدعا الى اجتماع عام فى داره التى كانت موئل القصاد من كل مكان فى العالم الاسلامى وذلك فى الرابع عشر من شعبان سنة ١٣٤٢ هـ والموافق للعشرين من شهر مارس فى نفس العام .

فبين الامام حكم الخلافة شرحا وتفصيلا ، ومواطنها من جمع الأمة وكلمتها فى وجه الاستعمار والمستعمرين وابقاء أمة الاسلام قوية لحمل راية الدعوة الى الله تعالى واتفق الحاضرون جميعا على تأسيس جماعة الخلافة الاسلامية برئاسة الامام أبى العزائم ، كما اتفقوا على عقد مؤتمر عام بمكة تمثل فيه جميع الشعوب الاسلامية لتعود الخلافة كما كانت »[1] .

وقد حضر الاجتماع عدد كبير من أبناء مصر والعالم الاسلامى كما حضره مندوبو وكالات الأنباء والصحف الاجنبية والمحلية ، وكثير من العظماء والوجهاء والعلماء وقادة

---

(١) نيل الخيرات الطبعة الثالثة عشر ص ١٤٦ .

الفكر ، واستمر الاجتماع الى فجر اليوم التالى وأجريت عملية انتخاب لجنة تنفيذية لجماعة الخلافة الاسلامية ، فكان الامام رئيسا وسعادة على بك فهمى نائبا للرئيس »[٢] .

وبدى الخلاف بين الإمام والقصر ، واتخذت العداوة بين الإمام والملك فؤاد مظهرا علنيا ومنع الامام من السفر لأداء فريضة الحج فى نفس العام[١]

وظل الامام على اتصال دائم برؤساء لجان الخلافة بالبلاد الاسلامية وظلت الحكومة فى عنادها وحربها تؤلب على الإمام ألسنة المارقين .. حتى رد الأمير عمر طوسون على الحكومة فخنست ثم حاكت فى الخفاء .

حتى خرج الامام للحج سنة ١٣٤٤ هـ ومعه (٤٠٠) من تلاميذه وأعضاء لجان الخلافة . حيث كان مقررا أن ينعقد المؤتمر العام للخلافة فى مكة المكرمة شرفها الله تعالى وزادها حرمة وتقديسا .

وكتبت فى ذلك جريدة أم القرى والتى كانت تصدر فى مكة المكرمة :

فقد جاء فى الصفحة الاولى منها خطاب جلالة الملك عبد العزيز فى الوفود المجتمعة وأعقب ذلك محضر جلسات المؤتمر وانتخاب الرئيس ثم بعد ذلك بين عدد الوفود الحاضرة وعددهم تسعة وخمسون وجاء فى هذا البيان : (جمعية الخلافة بوادى النيل ثلاثة : رئيس : السيد محمد ماضى أبو العزائم وعضوية السيد كامل عثمان الفقدى من مصر .. وذكر بقية الأعضاء ونظرا لان الحكومة المصرية لم تشترك رسميا فى المؤتمر رأى

جلالة الملك أن يستفيد من وجود بعض العلماء المصريين فانتخب منهم ثلاثة هم الشيخ عبد السلام هيكل ، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح ، ومحمود على منصور .. « وكان ذلك يوم الاثنين الموافق السادس والعشرين من ذى القعدة فى العام الرابع

---

(١) الامام أبو العزائم ٢٢٤

والأربعين الهجرى الساعة الثانية والدقيقة الخامسة صباحا[1] وجاء فيها ـ جريدة أم القرى ـ فى عدد آخر تحت عنوان كبير .

جماعة الخلافة بوادى النيل قولها : اجتمعت اللجنة العليا التنفيذية لجماعة الخلافة بوادى النيل مساء الخميس ٨ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ برئاسة حضرة صاحب الفضيلة والسماحة السيد محمد ماضى أبى العزائم بمركزها بالحنفى بمصر .. وفيها أن الشيخ حافظ وهبه مستشار عظمة سلطان نجد زار لجان الخلافة الفرعية بدسوق وبلغ الإمام ثقة السلطان ومحبته له ذلك فى يوم السبت الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ هـ[2]

كانت تلك الثقة والمحبة قبل انعقاد المؤتمر العام للخلافة الاسلامية بمكة المكرمة ... وهكذا ترى جهود الامام لا لينال فيها حظا دنيويا فقد كفاه ثقة العالم الاسلامى فيه بكل زعمائه البررة المخلصين .

ثم أصاب المؤتمر بمكة فتور وانقسام فى جلساته وبات ذلك واضحا فلما عاد الامام من الحج عاود اتصالاته بزعماء العالم الاسلامى وجددوا الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامى بمدينة القدس وحددوا لذلك اليوم الأخير من عام واحد وثلاثين وتسعمائه من الميلاد ومنعت الحكومة المصرية اعطاء تأشيرة للامام ومنعته كذلك من الاتصال بالزعماء الاسلاميين .. لكنه التقى بهم سرا فى طريقهم الى القدس وانعقد المؤتمر فى موعده وكان نصيبه كسابقه[3] .

ولم يكن فى هذه الأعوام منذ أن حلت الخلافة الى هذا المؤتمر الأخير بالقدس للامام فى نصبه وكده وجهاده الا وجه الله تعالى ووجهته الرضوانية ، ولكى يقوم الأمر هذا بالنظر فى دعوى المسلمين الى تقوية روابط الاخاء الاسلامى والعمل لخدمة الحرمين الشريفين .. وأنت تعلم يأخى أن العامل اذا كان مع الله تعالى ولله سبحانه ظفر بمقصوده وفاز بمراده ونصره الله ورزقه من حيث لا يحتسب ..

---

(١) جريدة أم القرى .. الصادرة بمكة المكرمة يوم الجمعة ٢٦/ ذى القعدة سنة ١٣٤٤ العدد ٧٥ .

(٢) جريدة أم القرى الصادرة بمكة المكرمة فى ٢٢ يناير ١٩٢٦م العدد ٥٦/

(٣) مجلة السعادة الأبدية العدد الأول السنة السابقة ص ٢٣

وهو خيط يدفعه الامام لتربية أبنائه صبرا ومثابرة فى الحق من غير أن يكبر المرء غير الله تعالى أو يرى لغيره من ظل فى تلك الدنيا الزائفة : ولعل هذا يفيدنا فى باب التربية فى كثير من الوجوه لا من وجه واحد .. صبر ومثابرة ، وجهد ومجاهدة ، ورحمة بالمؤمنين ورأفة .. وجمع لكلمة الأمة وتوحيد لصفها فى سبيل الله .. وفى وجه الأعداء والمعتدين .

الاصلاح العام فى المجتمع الانسانى

تمثل المسرحيات التى وضعها الامام مع جملة كتب الاسلام دين ووطن ونسب وغيرها برنامجا خاصا للاصلاح العام وهى جملة من القصص الاجتماعى الفرضى يرمى به الامام الى الاصلاح العام للمسلمين ، ويكشف لهم عن أنياب المدنية والحضارة التى يدعيها الغرب بعد تجردهم من الدين والحياء .. فيعالج الامام النفوس بأسلوب الحكيم عن طريق أشخاص فرضية يختارهم ثم يقوم كل واحد منهم بعرض منهجه ومعارضته للمناهج الأخرى ويدافع كل على منهجه .. ويطول الخصام والجدال واللجاجة والمعاندة حتى يوفق الله تعالى أهل الحق فيظهرون للفاسد فساده ويرغبونه فى الهداية .. حتى يتم الصلح وتتحقق الهداية العامة للناس .

وهذه طريقة لمعالجة الفساد بين الناس لكنه يأتى بطريق غير مباشر ..
ولا يتوقف جهد الامام عند هذا الحد .. حتى يبين للمجتمع الإسلامى الأضرار القادمة عليه من هنا أو هناك .

موقف الامام من دعوى الاشتراكية والعلمانية :

كتب له تلميذ من تلامذته شخص إلى أوربا برسالة جاء فيها :

« وعلى هذا فليس هناك أى تنافر بين الاشتراكية والاسلام ، وإذن فقد كذب الذين يستندون الى الآية (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) (الزخرف ٣٢) لتثبيط همم الطبقة العاملة بحقوقها وتبرير حالة الذين يرثون المال ، فيأخذون فى انفاقه على العاهرات ، وبائعى الخمور متخذين من تركيز الثروة فى أيديهم قوة ووسيلة لاتلاف أخلاق الوسط الذى يعيشون فيه ... » .

وأجابه الامام برسالة فى اثنتى عشرة صفحة جاء فيها ..

« ليست الاشتراكية هى الإسلام ، وليس الاسلام هو الإشتراكية .. الإشتراكية فلسفة ومذهب إنسانى من وضع الإنسان الذى لايبرأ من الخطأ والغرض والطمع مهما حاول أن يكون قريبا من الصواب .. فتلك طبيعته .

اما الاسلام فهو دين سماوى ، ونظام إلهى ، ووضع ربانى ، فهو أبقى على الدهر وأقرب للعدل لأنه يأمر بالمساواة وينهى عن البغى والعدوان . لأنه يقوم على التوحيد ، ووحدة الألوهية تمحو الشرك ، وإن الشرك والطغيان متلازمان ، وليس فى رسالة الاسلام أدنى عيب إنما العيب فى المسلمين أنفسهم ، ومازال الاسلام على حق بتعاليمه محفوظا فى كتاب الله وسنة نبيه ، وهو حاكم على المسلمين غير محكوم عليه بأعمالهم .

الإسلام ياولدى قوة الإيمان التى هى بمثابة الوقود ، وعمل يحرك الآلات نحو غايتها السامية المرسومة لها ..

« ... وحقيقة الأوضاع التى تراها الآن فى المجتمع الاسلامى الكبير ان الاستعمار فى شكله الحديث عمل فى أولى مراحله ، على تعميق هوة القديم الموجود امامه من الشعوبية والعصبية فى المجتمعات الاسلامية المتفرقة ، حيث وجد مجتمعا اسلاميا ضعيفا ، وعرف الاستعمار أن سر ضعفه يكمن فى حزبيته وشعوبيته فلم يكتف بالقديم منها وإنما أثار نزعات جديدة بين الأمم الاسلامية ، لتتسع الهوة الفاصلة بينهم ، وتزيد شقة التباعد فتكون نتيجتها التحاسد والأحقاد ، فيحكم بينهم المستعمر بغير ماأنزل الله ، ومن أجل هذا المخطط الشيطانى ، حمل حملة شديدة على القيم الاسلامية ، وهجم على الدين الاسلامى هجوما عنيفا حتى يضعف الوازع الدينى لدى الناشئة ، ويُشكك الأمة فى دينها . ثم كانت مرحلته الثانية بالإبقاء على المسلمين وقودا بشريا واستغلالا اقتصاديا ، واستعمارا فكريا يربطهم بدائرة التبعية الفكرية الغربية ، وهذه هى مرحلة توطين الاتجاه الفكرى العلمانى الغربى الذى يقضى بفصل الدين عن الدولة ، وهو ماطبقته أوربا الرأسمالية وبدلا من أن يعود المسلمون الى دينهم الذى يضمن لهم العزة والمجد والرفعة ويدرسون سر تأخرهم ، وجمودهم ، راح فريق منهم ومن خيرة شبابهم يأخذون بالمذهب الماركسى . وهو المذهب الذى ينكر الأديان صراحة ، ولايقل عن الاتجاه العلمانى عنفا ، فى محاربته للقيم الاسلامية ..

فمتى ياولدى يفيق المسلمون فينظروا الى ماداسوه بأقدامهم من جواهر التعاليم

متطلعين الى صخور ورمال لاتؤدى الى شيء ولم تخلق لهم ، لأن الحق تعالى مااختار المسلمين عبثا . وإنما اختارهم لرسالة الإنسانية جمعاء فوضع لهم النظام الذى ينفعهم وينفعها .

إننى لم أفقد الأمل فيكم بعد .. فانهضوا يابنى لرفعة الأمة على دعائم ثابتة قوية من الأخلاق الفاضلة الاسلامية .. والله معكم ... »[1] .

فالمذهب العلمانى والإشتراكى مذاهب فكرية مضادة للإسلام ، والداعى إليها فى المسلمين شيطان مارد لايريد إلا تفريق الجماعة وفرقة المسلمين ..

والامام فى سبيل التصدى لأعداء الدين وخوفه على الأمة الاسلامية وحرصه الشديد على أبنائه فى الغرب كثيرا ماكان يكتب وينادى ويراسل ولا يترك شاردة ولاوراردة مهما كان قائلها .. والقارىء فى تاريخ الامام وحياته ومجلاته المدينة المنورة والسعادة الأبدية يجد من ذلك الكثير والكثير .. وهذا مؤلف وحده .

رأية فى الحضارة الأوربية :

كانت أول البلاد الاسلامية التى نادت بالعلمانية وأخذت بها وسارت فى موكبها وأغرقت الشباب بهذا الفكر الغربى هى تركيا .. التى كانت فيها الخلافة والخليفة فسبحان مقلب الأحوال .. وكانت الدعوى التى تذرعت بها تركيا ممثلة فى (كمال أتاتورك) ساعتها هو النهوض بالدولة وأبنائها حتى يلحق بالركب الأوربى الذى فاته قطاره من زمن بعيد .. فانتشر فيها الخمر ، وأبيحت المحرمات فكتب الامام اليهم ونشر فى الصحف والمجلات تحت عنوان « الدين النصيحة » الى الأمة التركية وهو مقال طويل ومما جاء فيه ..

« يارجال الترك : أنا لاأنكر إننا فى حاجة شديدة الى تقليد أوربا لاستعادة مافقدناه وماسلبوه منا من علوم وصناعات وفنون ، ولكنا فى غنى عماهم فيه من الإباحة ، التى تجعلهم أحط من البهائم السائمة ، والإسلام وسع لنا فى أن نقوم بواجب الوقت عند المقتضى لأن العقيدة الاسلامية والعبادة والأخلاق ، بها نيل السعادة والسيادة فى الدنيا وبها الفوز بخيرات الخيرات الباقيات فى الآخرة .

وما عدا ذلك مما لا يغير عقيدة ، ولا عبادة ، ولا أخلاقا ، فأمر مباح : يارجال الترك :

---

(١) الامام أبو العزائم حياته .. ص ١٩١ .

إن أعداءنا يجب أن ننتفع منهم بما هو خير لنا ، وأن نرد عليهم رذائلهم التى يحرمها الشرع وينكرها العقل ..[1] .

فيرى أنه ليس من عيب أن نأخذ من أوروبا كل شئ، مادام لايغير عقيدة ولا عبادة ولا أخلاقا نأخذ منهم صناعاتهم ، وجدهم فى العمل ، ورقيهم فى أسباب الحياة الدنيا وإخلاصهم لأوطانهم وحرصهم على لغة بلادهم مهما كلفهم ذلك .. نأخذ منهم اجتماعهم واحترامهم بعضهم لبعض ، وإن وقع جرح فيهم سارعوا فيه حتى يلتئم ..

أى أننا نأخذ فضائلهم ونترك رذائلهم إذا كانت تلك الفضائل على الشرط المذكور (لا تغير عقيدة أو عبادة أو أخلاقا) .

أما إذا حصل العكس فتلك النكبة ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين .

والإمام يحث الزراع على زراعتهم والصناع على صناعتهم والتجار بالصدق فى تجارتهم كى تنهض الأمة فتكون حضارتها أسبق من حضارة أوربا قديما وحديثا . ومن قرأ كتاب النور المبين ، وجد لكل نوع من هذه الأنواع التى تكون الأمة رسالة خاصة بهم تحثهم على الخير وعمل البر والجد والإجتهاد حتى تسعد الأمة بهم ويسعدون بها .

ومما قاله الإمام نظما نجعله مسك الختام فى حث الأمة على النهضة بل والنهوض بأبنائها . وقد رأى طائرة تطير فى الجو ..

أبرزى قدرة اللـه العجب   أيقظى للجد أبناء العرب
ذكرينا قدرة اللـه بما   أنت أوليتيه من قبل الطلب
أيها الطائر فى الجو السح   للنهى سرا يرى فيه الأدب
أدبى الأنفس قدرة ربنا   كى تفك بها النفوس بلا تعب
تحت ذا الترب المعادن نعمة   سخرت للعقل والمولى وهب
ديننا الإسلام يهدينا الى   أن مافى الكون للعلم سبب
أيها الطائر فى الجو بلا   دافع أورافع إلا النسب
جئت تسعى من لدى ألمانيا   تسبق الريح فلا تخشى عطب
شق أجواء وأرجاء وطر   كى تنال بقدرة اللـه الإرب
ديننا الإسلامى أحيانا بما   فيه من علم مما عنا الوصب

---

(١) السابق ١٩٦

قد محا الإسلام عنا ظلمـــة هذب الأنفس والجهل حجب
قبل خير الرسل كان الناس فى ظلمة حلم وفى شر النقب
كان أهل الأرض عبـاداً لما يصنعون من الحجارة والخشب
يعبدون النـار والعجـل وكم قربـوا للنـار والنهر قرب
نور القـرآن ألبابـا هدى أنفسا للرشد من عجم عرب
نهضة العـالم بالقـرآن فى آية الخيرات أسرار عجب
أذكـروا ياآل ألمانيـا لنـا كنـز علـم للصناعـة والأدب
جددوا ياأمـة الإسلام ما جيش أهل الغرب منا قد سلب
أرجعـوا للديـن وائتلفـوا على نيل مامنا العدو قد اغتصب
يابنـى الاسلام طالت رقـدة فى افتراق فى اختلاف فى كرب
كان أهـل الغـرب أتباع لنا يحملـون العلـم عنـا فى رهب
فانهضوا بالدين خلـوا فرقـة فالصناعة كنزها فيه الطـلب
طالت الرقـدة قومـوا قومـة باتبـاع الديـن فالشرع كتب
طهـروا الألباب من شحنائهـا فاختلاف القوم داع للعطب [1]

الخاتمـــــة

هذا هو المنهج الذى سلكه الامام فى التربية . وهو بحق منهج سامى وراق إلى حد بعيد ذلك لأنه لم يجنح بالطالب إلى حد الجمود فى الفكر .. فيقعده على أثر من غير عين أو يوقفه على نص بغير فهم . أو يعطيه فهما خاطئا يجنح به بعيدا عن الحياة التى يحياها الناس . أو يحييه حياة لاترضى الله تعالى وتغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغرب بالطالب عن يومه وأمسه . وعن أهله ونفسه . ولا عن قرآنه ودرسه ، ولا عن نهج الحياة التى كان يحياها النبى صلى الله عليه وسلم . فكأنها ــ التربية ــ حياة القرون الأولى بأسلوب العصر الحديث .. وقيام الشرع الشريف بحذافيره فى جسد المتربى ونفسه فى هذا الحين .

والتربية عند الإمام ليست تابعة لمنهج فلسفى ، أو فكر غربى ، أو خلوة صوفية أو فنون أخرى تدعى أمرا ولا تجد أثرا ، وتزعم أصلا ولا ترى نصا ، وتبنى قصرا وتهدم مصرا ، بل كان منهج التربية عنده واضحا ، سهلا ميسرا ، يقبل القاصى والدانى بأسلوب يأخذ الجميع بسلاسته وعذوبته ، ومعنى يعجز الانسان أن يصفه حتى يذوقه فإن ذاقه عرفه ، وإن عرفه صار له منهجا متبعا ، وسبيلا مدروسا .

فالتربية عنده ؛ بلوغ الإنسان درجة من الكمالات النفسانية اعتقادا وخلقا وعملا وحالا وسبيل الانسان فى هذا الرشاد وتلك الكمالات أمور موضحة لابد منها .. أول ذلك .. استقامة الطريق ..

ونستطيع هنا أن نقف ونوقف الكل على معنى التربية وتخصيصها بهذا البيان ... فكلمة الطريق والشرع والمنهج سواء ويعنى ذلك أن المنهج المتبع هو شرع الله تعالى الذى أنزله على خير خلقه ومصطفاه من عباده فقام به وأقام الناس عليه ، واستقامته يعنى أخذه بالجانب المأخوذ من النبى ﷺ فلا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا خروج ، وعدم الميل به إلى الهوى والنزول إلى الردى . مع إدعاء صحته وزعم النفس على طريقته ، فالخارجة يدعون الشرع وأنه لهم عاصم ، والرافضة تقوم به حجة لهم وأنه للباطل قاصم ، والغالين والقالين . كل يدعيه ويزعم دخوله فيه وكما قال القائل

وكل يدعــــى وصلا بلــــيلى ولــــيلى لاتقــــــر لهم بذلك

ثانيا : تزكية النفس .. كأرض طيبة ينزل عليها غيث الإستقامة الشرعية فتثمر الاعتقاد الحق والعبادة الخالصة ، والمعاملة الحسنة والأخلاق الفاضلة .. ويبلغ الإنسان كمالاته والوسيلة فى الإستقامة ، والتزكية إنما هو العالم العامل والعارف الوارث والمربى المرشد الذى يأخذ النفس المريضة فيطببها ويخرجها من عاداتها إلى أنوار عباداتها حتى تتذوق الرحيق المختوم من الطاعة بعد أن تجرعت مرارة المعصية قبل ذلك .. وهو يحيطها بسياج واق حتى لاتتخبطه الأهواء أو يأخذها الشيطان إلى أسفل سافلين ..

وأما أرجاء البناء ونواحيه المتعددة وميادينه الواسعة فكل ذلك عبارة عن الانسان نفسه وعقله وروحه وما ينبع من ذلك من خلق واجتماع .. وبحق فالمرشد إذا جال فى تلك النواحى المتعددة ، والقدوة إذا أحاط هذه الميادين بالرعاية والعناية .. فأين يكون للشيطان على العبد من سبيل بعد أن دخل فى جملة عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم من سبيل ، « والذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .. وما نالوا هذا إلا بعد رياضة ومجاهدة وتربية جالت أرجاءه ودخلت نفسه وعقله وروحه وجسمه ، وخلقه وجماعته ..

إن المراد من التربية هو بناء شخصية إسلامية لها وزنها وقيمتها بلغت من الكمال الانسانى مبلغا لا يميل مع كل مائل ، بل هو إنسان موطن النفس يشعر بذاتية اسلامية ترفعه قدرا حتى مصاف الملائكة .

وإن هذه التربية فى هذا المنهج الذى سبق كفيل بهذا كما رأينا ..

وأسال الله تعالى أن ينفعنا به وينفع المسلمين أينما كانوا وكيف كانوا ، وأن يغفر لى خطئى وعمدى إنه خير مأمول وأكرم مسئول .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أهم المراجع

﴿ التفسير ﴾

١ – أسرار القرآن ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم .. جميع الطبعات حتى الآن

٢ – روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى .. أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى .. الطبعة الأولى ١٣٠١ هـ

٣ – لطائف الإشارات ... الامام أبو القاسم القشيرى ... الهيئة العلمية للتأليف والنشر

٤ – مفاتيح الغيب ...الإمام الفخر الرازى .. ط بولاق ، المصورة

٥ – تفسير الخازن لباب التأويل فى معانى التنزيل ... علاء الدين على بن محمد ابراهيم الخازن ... ط ١٣٢٩ هـ

٦ – تفسير البيضاوى المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ... القاضى البيضاوى ... ط الأولى ١٣٤٤

٧ – تفسير ابن عطية المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ... لابن محمد بن عطية الأندلسى... ط الدوحه ١٣٩٨ هـ ١٩٧٧ م

﴿ الحديث ﴾

٨ – الجامع الصحيح بشرح النووى ...الإمام مسلم بن الحجاج ... ط دار الشعب ، دار التحرير

٩ – جمع الجوامع ... الامام السيوطى ... ط مجمع البحوث الإسلامية

١٠ – الموطأ ... الامام مالك بن أنس ... ط دار الشعب

١١ – عون البارى لحل أدلة صحيح البخارى ... أبو الطيب صديق بن حسن الحسينى البخارى ... ط قطر

﴿ مراجع فى الباب ﴾

١٢ – الاعلام الشرقية فى المائة الرابعة عشرة الهجرية ... زكى محمد مجاهد

١٣ – الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب ... خير الدين الزركلى ... ط / بيروت

١٤ – الامام محمد ماضى أبو العزائم ... عبد المنعم شقرف ... ط ١٩٧٢

١٥ – أصول الوصول لمعية الرسول ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... الطبعة الأولى

١٦ – شراب الأرواح ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... هامش أصول الوصول ... الطبعة الأولى

١٧ – معارج المقربين ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ٢ ١٣٩٥ هـ

١٨ – مذكرة المرشدين والمسترشدين ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... مجمع البحوث الاسلامية ١٣٩٤

١٩ – دستور آداب السلوك الى ملك الملوك ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ٢

٢٠ – دستور السالكين طريق رب العالمين ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ٢

٢١ – الطهور المدار على قلوب الأبرار ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط الأولى ١٣٤٠

٢٢ – الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ٢

٢٣ – الإسلام نسب ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ١ ، ٢

٢٤ – الإسلام وطن ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ١ ، ٢

٢٥ – الفرقة الناجية ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... الطبعة الثانية

٢٦ – تفصيل النشأة الثانية ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ٢ سنة ١٣٩٨

٢٧ – عقيدة النجاة ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ١٣٩٣/٣ هـ

٢٨ – هداية السالك الى علم المناسك ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٢٩ – النور المبين ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٣٠ – وسائل إظهار الحق ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم

٣١ – محكمة الصلح الكبرى ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط الثانية

٣٢ – الشفاء من مرض التفرقة ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط الثانية

٣٣ – بشائر الأخيار فى مولد المختار ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ...ط ٢

٣٤ – السراج الوهاج فى الاسراء والمعراج ...الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ٢

٣٥ – صيام أهل المدينة المنورة ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ٢

٣٦ – تفسير سورة القدر ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ...

٣٧ – الجهاد ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ١

٣٨ – من جوامع الكلم ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ١

٣٩ – الطريق الى الله ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ١

٤٠ – حديث الجمعة ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط١

٤١ – الجفر ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم

٤٢ – الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

٤٣ – رسائل الفتوى العزمية فى بيان الوسيلة على خير البرية ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ١

٤٤ – الفتوى الشرعية فى بيع أرض فلسطين ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم

٤٥ – نبيل الخيرات بملازمة الصلوات ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... الطبعات ٣ ، ٥ ، ١١ حتى السابعة عشر .

٤٦ – جملة فتاوى وردود : على نظرية داروين ،

٤٧ – جملة مسرحيات على غرار محكمة الصلح الكبرى

٤٨ – المخطوطات ومنها : (المضمون والمكنون)

٥٠ – الجزء الثانى من الفرقة الناجية

٥١ – موارد أهل الصفا

٥٢ – السيرة النبوية

٥٣ – القصائد والمواجيد طبع منها سنتى ١٣٣٢ – ١٣٥٢هـ ، والباقى مخطوط .

٥٤ – مجلات المدينة المنورة ، والسعادة الابدية .

فهرس



منهج التربية

عند الإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبي العزائم

إقتضت حكمة الخالق سبحانه وتعالى أن يحفظ النبى ﷺ فى أمته بعترته حتى تبقى شمس الهدى بغير غروب ، وسراجه المنير يتلألأ بغير أفول ، فجاء الامام السيد محمد ماضى أبو العزائم فى القرن الرابع عشر ليكون مجدد هذا القرن وقد تناول المؤلف حياة الامام المجدد ونشأته ومولده ونسبه وعصره وأثاره العلمية ، ويتناول المؤلف مفهوم التربية عن الإمام المجدد أبى العزائم ومقدماتها وضوابطها والأصول التى تقوم عليها ، ووسائلها ، ومعنى القدوة ومعنى الاتباع . كما يوضح لنا المؤلف ميادين التربية عند الإمام المجدد أبى العزائم ؛ وهى :

التربيه النفسية : وتشمل قوى النفس وفضائل النفس ورزائلها وامراض النفوس وعلاجها وتربيتها بالمجاهده .

والتربية العقلية:وتضم منزلة العلم والعلوم السابقة ورأى الامام المجدد فى بعض العلوم الأخرى وتربية المرأة .

والتربية الاخلاقية:وهى نوعين : الاداب فى صحبة المرشد وأداب الأخوة فى الله .

والتربية الروحية:وهى تبين منهج الامام المجدد فى تربية الروح والمواجيد القلبية .

والتربية الاجتماعية:وهو يوضح فيها معنى الأخوة عند الامام المجدد .

كما يبين لنا المؤلف جهاد الإمام المجدد أبى العزائم ضد قوى الاستعمار ونصحُهُ للشعوب الإسلامية ، وجهاده فى جمع كلمة أمة القرآن بعودة الخلافة الاسلامية ورده على دعوى الاشتراكية والعلمانية والحضارة الأوربية .

